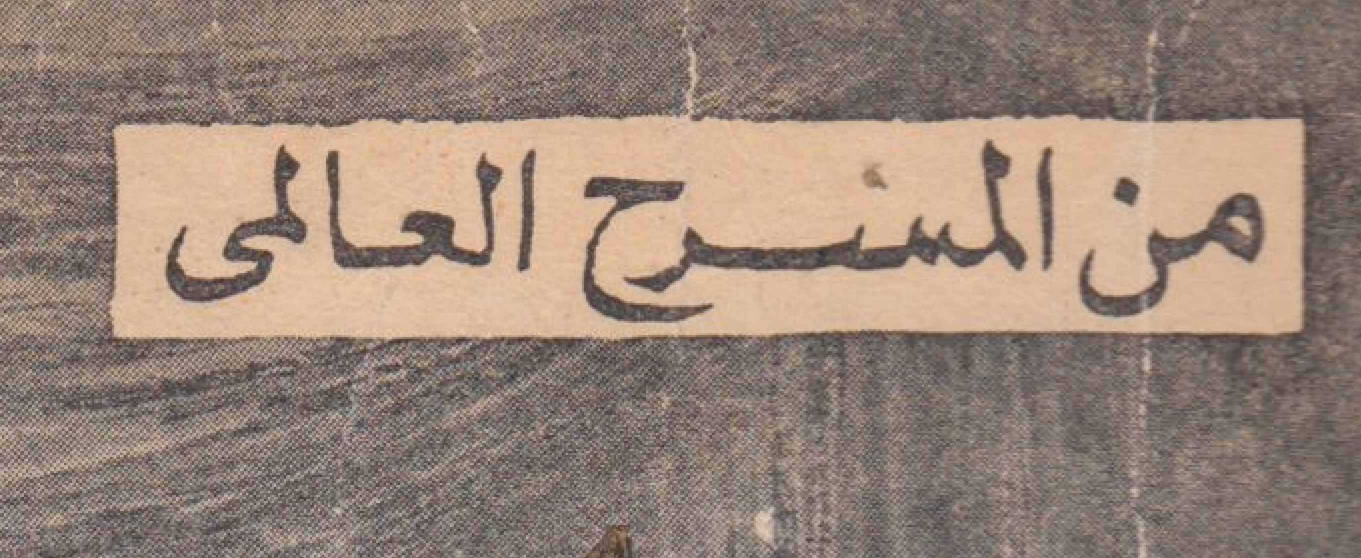


من الأعمال المختارة

موليير - ٢

- سجاناريل
- المتحذلقات المضحكات
- مدرسة الأزواج
- الطبيب الطائر
- غيرة الباربوييه

ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص

مسلسلة

من

المسرح العالمي

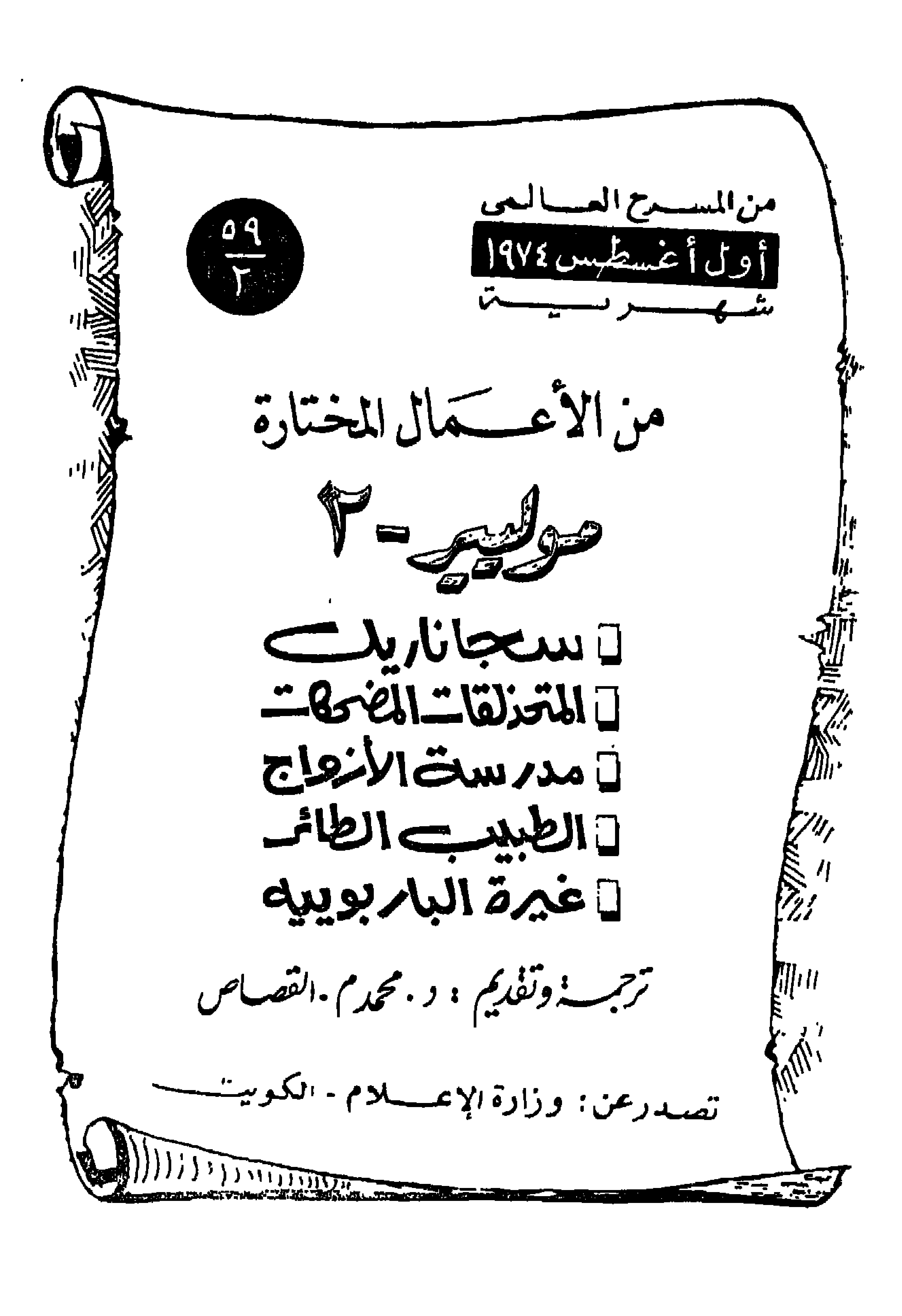
سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣


من المسرح العالمي
أول أغسطس ١٩٧٤
شهرية
٥٩
٢
من الأعمال المختارة
موليير - ٣
سجاناريل
المتحذلقات المضحكات
مدرسة الأزواج
الطبيب الطائر
غيرة الباربوييه
ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص
تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

اسم الطبعة التي استخدمت فى الترجمة

MOLIÈRE

ŒUVRES COMPLÈTES

PRÉFACE DE
PIERRE-AIMÉ TOUCHARD
ADMINISTRATEUR GÉNÉRAL HONORAIRE
DE LA COMÉDIE FRANÇAISE
INSPECTEUR GÉNÉRAL DES SPECTACLES



AUX ÉDITIONS DU SEUIL
*27, rue Jacob, Paris-VI^e^*

مقدمة بقلم المترجم

كوميدية سجاناريل والمرحلة الجديدة فى مسرح موليير

حين استقر موليير مع فرقته بباريس بعد أن قضى اربعة عشر عاما متجولا في الاقاليم ، كان منتهى أمانيه ان يظهر على غيره فى تمثيل التراجيديا . ولكن الباريسيين فى ذلك الحين كانوا يفضلون التمثيل المليء بالحماس الذى عرف به تراجيديو مسرح المارية ومسرح الاوتيل دى بورجنى الذين كان تمثيل فنانى البوربون يعتبر فاترا بالنسبة اليهم . فأحس موليير انه ، لكى يحتفظ بجمهوره ، يحتاج الى تقديم الكوميديات والفارسات ، حيث كان الاجماع معقودا على أن فنانى فرقة موليير لا يبارون فى هذا الميدان . فبعد ستة أشهر من تقديم شخصية سكارى فى المتحذلقات المضحكات ، قدمت فى ٢٨ مايو سنة ١٦٦٠ شخصية سجاناريل تحت ملامح المديوث بالوهم . وهذه هي ثانى كوميدية تكتب من اجل أهل باريس ، ولكنها ابعد من الاولى مدى : لقد كتبت شعرا ، والشعر هو اللباس الفاخر للمسرح فى ذلك الحين ، وليس النثر لباس اللامبالاة ولم يقنع المؤلف بان يسخر فيها من عيوب وقتية ، بل يهجم على عاطفة جوهرية فى الطبيعة البشرية . نعم لقد سبق لموليير ان سخر من الغيرة depits amaxreu'u وفى غيرة الباربوين . ولكن ما أشد الفرق بين شخصية الباربوية المتعاظمة المضحكة ، التى لا أساس لها من الكيان البشرى ، وبين شخصيّة سجاناريل التى تخفى تحت مُظهرها المضحك قلبا بشريا معذبا .

لاشيء من الجدة فى استخدام المظاهر الخداعة لاستثارة الغيرة وتجسيمها . فكثير من المؤلفين الاسبان قد استخدموها فى نغمة مؤسية ، وبعض الفرنسيين حذوا حذوهم ولكن فى نغمة مضحكة . ففى مسرحية **التلميذ** لسلامانك يفاجيء والد ليونور اثناء الليل فتى فى غرفة ابنته ، ويظن انها قد فقدت شرفها . وفي مسرحية **المظهر الكاذب** لسكارون Scarrou (مثلت حوالى ١٦٥٨) نرى « كارلوس » يكشف وجود رجل فى غرفة خليلته ، ويستخلص من ذلك نتائج زائفة ومنطقية فى آن واحد . وفى مسرحية **المظاهر الخداعة** لبوابروبير « Balsrobert شابة بريئة » ولكن جميع المظاهر تقضى عليها بالاتهام . وكان موليير نفســه ، وهو فى الاقاليم ، قد

استغل هذا الموضوع فى « فارس » لم يصل الينا . ومن المحتمل ان يكون هو الاساس الذى بنى عليه الكوميدية التى بين أيدينا . **الديوث بالوهم** . ولكن لا توجد مسرحية واحدة من هذه المسرحيات تقدم لنا شخصا يتمثل فيه الانسان فى حالته التى تستدر أعمق أنواع الاشفاق ، كما فعل موليير فى **الديوث بالوهم** . وكان تصور موليير لهذه الشخصية أول ما كشف عن عبقريته .

يقول انطوان آدم : « مسكارى مجرد تابع مسل عجيب الاطوار » .. اما سجاناريل « فمثير للضحك ، تعبير مضحك مؤس فى آن واحد عن وضعنا الانسانى ». منه انحدر أرنولف ، والسست ، ثم « شارلى تشابلن » من بعد ذلك بثلاثة قرون .

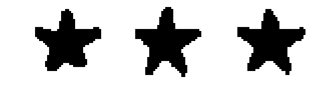
ويقول ايضا انطوان آدم : « سجاناريل شخصية مضحكة ، ولكنه جد قريب منا . نحن أنفسنا . انه منا ذلك الجزء الذى يتجه كل مجهودنا الى ستره ، الجزء الذى يثيرالاشفاق والخجل ، الجزء المنطوى على مافينا من مضحك ، ومن جبن ، ومن انهزامية ... انه بالنسبة لموليير قرين نفسه . انه الصديق والمحتقر في آن واحد » .

ويقول أ . توشار : « ... وبفضل هذه الشخصية التي سنراها تتكرر فى ست مسرحيات اخرى من مسرحيات موليير تحت ظروف مختلفة ، تعتبر مسرحية **الديوث بالوهم** هذه أولى الاعمال العظيمة التى اصدرها موليير ، حيث نرى العنصر الكوميدى لايكف من ملامسة العنصر التراجيدى ، بل لعلها من الاعمال المعدودة فى الادب الفرنسي التي يرى فيها المرء بكل وضوح من أى نقطة محددة يبدأ العنصر التراجيدى ، كما يميز فيها بكل وضوح ايضا الفرق بين الحل الكوميدى والحل التراجيدى .

وبالرغم من أنها قدمت للعرض فى وقت كان فيه كل افراد القصر خارج باريس يحضرون زواج لويس الرابع عشر فى منطقة البيرنيه ، فانها قد لاقت نجاحا طيبا منذ البداية ، وان لم يصل ايرادها الي مستوى ايراد **المتحذلقات** غير انها حافظت دائما على رواجها حتى ان موليير كان اذا احس أن ايراد الشباك قد اخذ فى الهبوط ، لجأ الى عرضها من جديد لاعادة اقبال الجمهور على مسرحه .

وكان موليير قد أخذ درسا مما حدث له في **مدرسة الزوجات** حيث طبعها بعضهم سرقة قبل ان يقوم هو بنشرها ، فطلب اذن طبع لسجاناريل وحصل عليه . ولكن قبل ان يستخدم الاذن كان أحد الغادرين قد طبعها من غير وجه حق ايضا ، فرفع دعوى امام المجلس الخاص وحكم لصالحه . وتم طبع المسرحية باذنه ولحسابه.

واذا كان موليير المؤلف قد ارتفع فى هذه المسرحية عن مستوى كوميدية الحبكة والعادات الى كوميدية النماذج البشرية ، فان موليير الممثل ايضا قد ارتفع فى فنه التمثيلى عن مستوى التمثيل بالحركات والاشارات الى مستوى التمثيل بايحاءات الوجه والتعبير بتقاسيمه ، حتى كانت ابصار المتفرجين تتجه الى وجهه بدلا من التركيز على اطرافه واجزاء جسمه . حيث كانت ترسم على وجهه اقل الانفعالات . وفى هذا الصدد يقول جاك كوبو : « أن دور سجاناريل ليس دور حركة ، كما هى الحال بالنسبة لسكارى ، بل دور التعبير بتقاسيم الوجـه ومنظره . « ويقول انطوان آدم : « حينما يصل سجاناريل مدججا بالسلاح ، وحينما يدور حول ليلى ، فانه لا يكون مجرد مهرج مسل ، كما هل الحال بالنسبة لسكارى وجودليه . انه هنا شيء جديد كل الجـدة ، شيء يجب أن نصـفه بالعبقرية » وهكذا تعتبر كوميدية سجاناريل ، Sganarelle اول الكوميديات العظيمة .



سجاناريل

الديوث بالوهم

كوميديا

تأليف : ج . ب . پ . موليير

ترجمة : د . محمد م . القصاص

مثلت للمرة الأولى على مسرح البربون الصغير
في ٢٨ من مايو سنة ١٦٦٠
قامت بتمثيلها
فرقة "السيد" الأخ الوحيد للملك

العنوان الاصلي للمسرحية

Molière

SGANARELLE
OU LE COCU IMAGINAIRE

COMÉDIE

شخصيات المسرحية

جورجيبوس : بورجوازى من باريى	Gorgibus
سيلى : ابنتـه	S'elie
ليلـى : حبيب سيلى	Lelie
رينيه البدين: خادم ليلـى	Gros-Rene
سجاناريل : بورجوازى من باريس وديوث بالوهم	Sganarelle
زوجة سجاناريل	
فلبريكان : والد فالـير	Villebriquin
وصيفـة سيلى	Villebriquin
احد اقرباء سجاناريل	

« المشهد فى باريس ، فى ميدان عام »

المنظر الاول

جورجيبوس — سـيلى — وصيفتها

سيـلى : (تخرج مقهورة باكية وأبوها من خلفها) :
لا ! لا تأمل مطلقا أن يرضى قلبى عن ذلك .

جورجيبوس : ماذا تلوكين هناك ، أيتها الوقحة الصغيرة ؟
أتزعمين أن تقاومى ما سبق أن قررته ؟ ألن
يكون لى عليك سلطان مطلق ؟ أيريد مخك
الناشئ أن يسيطر على العقل الأبوى : بناء
على أسباب حمقاء ؟ من منا له الحق في أن يفرض
قانونه على الآخر ؛ ؟ أينا يستطيع في رأيك ،
أيتها الحمقاء ، أن يحسن الحكم بما فيه مصلحتك ؟
حاذرى ، وحق الشيطان ، أن تجعلى مرارتى
في حالة غليان ، وإلا فلن يطول بك المدى
حتى تجربى ما إذا كانت ذراعى لا تزال تنطوى
على شيء من القوة . أسلم الطرق أمامك ،
ياسيدتى المتمردة ، أن تقبلى الزوج الذى اخترناه
لك . أنت تقولين انك تجهلين من أى مزاج
هو ، ولابد ، أولا وقبل كل شيء ، أن تفكرى
فيما اذا كان يعجبك . أما أنا وقد أحطت علما
بالثروة التى نزلت عليه ، فهل يحق لى أن أحاول
أن أعرف عنه أكثر من ذلك ؟ واذا كان هذا
العربى يملك عشرين ألفا من الجنيهات الذهبية ،

فهل ترينه يحتاج الى مغريات أخرى لكى يحظى
بحبك ؟ هيا ، فمهما يكن من أمره ، فانى ،
بناء على هذا المبلغ الذى في حوزته أضمن لك
بحياتى أنه رجل محترم جــدا .

سيــلى : وأسفـــاه !

جورجيبوس : نعم : « وأسفاه ! » ما معنى هذا ؟ انظروا
إلى هذه « الوا أسفاه الجميلة » التى تلقى بها علينا
هنا ! انى اذا استشاط غضبى ، فسأجعلك
تغنين غنوة « واأسفاه ! » هذه ، على أحسن
وجه ! هذا كله من ثمار ما نراه من انكبابك
ليلا ونهارا على قراءة الروايات ، فرأسك مفعم
بحكايات الحب السوقية ، إنك تتكلمين عن الله
أقل مما تتكلمين عن كليلى [1] . ألقى في النار
بكل هذه المؤلفات الشريرة التى لاتكف يوما
عن أفساد العقول الشابة . أولى بك أن تعدلى
عن قراءة هذه الخزعبلات ، أن تركنى الى
قراءة رباعيات ببراك [2] واللوحات العالمة

(١) قصة طويلة (٧٣١٦ صفحة) كتبتها ملكة الحذلقة فى عصرها مادلين دىسكوديرى Madeleine Swdery أو Sepho وضمنتها كل قواعد وقوانين السلوك المتحذلق وما يجب أن يكون عليه المتحذلقات والمتحذلقون .

المترجم

(٢) ١٢٦ رباعية تعالج بعض الأفكار السلوكية والاجتماعية كتبها جى دى فــوردى ببراك gui de Faun de Pilrac سنة ١٥٧٥ ، ولاقت نجاحا كبيرا لدى بعض طوائف القراء .

للمستشار ماتيو [1] ، وهو كتاب قيم ملىء بالأمثال الجميلة التى ينبغى حفظها عن ظهر قلب . وكتاب « دليل الخاطئين [2] » وهو أيضا مؤلف جيد . فلو أنك اقتصرت على قراءة هذه الأخلاقيات لكنت أكثر استجابة لإطاعة أوامرى .

سيلـــى : ماذا ! أنت تريد منى اذن ، ياوالدى ، أن أنسى تلك الصداقة الراسخة التى أدين بها لليلى ؟ الحقيقة أنى لو تصرفت فى أمرى دونك لكنت مخطئة ، ولكنك أنت نفسك قد وعدته بيـــدى .

جورجيبوس : مهما كان من أمر هذا الوعد ، فقد طرأ شخص آخر من شأن ثروته أن تحلنا منه . نعم ، ان ليلى شاب جميل الطلعة ، ولكن اعلمى أنه لا شئ فى العالم يفضل التمسك بالحصول على الثروة ، وأن الذهب يضفى على أقبح الناس شكلا ، نوعا من السحر يثير الإعجاب به ، وأن كل ماعدا هذا الذهب ليس إلا من توافه الأمور . أنا أعرف جيدا أنك لا تحبين فالبر ، ولكنه إذا لم يكن لك حبيبا ، فإنه سيكون زوجا

(١) من تأليف المستشار بيير ماتيو Pieme Mathieu ، مؤرخ الملك (١٥٦٣ — ١٦٢١) . المترجم

(٢) كتاب من تأليف الراهب الدومنياس الأسبانى لويس الغرناطى . (١٥٠٥ — ١٥٨٨) وكان قد ترجم إلى الفرنسية . المترجم .

وإن كلمة زوج من شأنها أن تولد من الالتزامات أكثر مما يظن الآخرون ، وكثيرا ما يكون الحب نتيجة للزواج .

لكن أليس من الغباء أن أرانى الجأ إلى القاء البراهين حيث يتيح لى حقى المطلق أن ألقى الأوامر ؟ أرجوك ، إذن ، أن تضعى حدا لوقاحتك : منذ الآن لا أريد أن أسمع شكاياتك البلهاء . فهذا الصهر سيأتى لزيارتك هذا المساء : وإياك ، إياك ، أن تقصرى في حسن استقباله ! وإذا لم تقابليه بوجه متهلل ، فانى سأريك ... لا أريد أن أقول أكثر من ذلك.

المنظر الثاني

سيلى ، الوصيفة

الوصيفة : ماذا ! ترفضين ياسيدتى ، وبكل هذا العنف ، ما يتمناه الكثيرون من الناس من صميم قلوبهم ! وتجيبين بالدموع على طلب الزواج ، وتتلكئين كل هذا التلكؤ في الرد بنعم مليئة بالسحر والجمال !

والأسفاه ! كم كنت أزيد أن يكون من نصيبى أيضا أن أحظى ! في هذه الحال لن أكون أنا التى تحتاج إلى رجاء ، وبدلا من الإجابة بنعم واحدة تسبب لك بعض الضيق ، أؤكد لك بأنى سأسارع أنا بقولها عشرات المرات .

ولا شك أن المعلم الذى أخاك الصغير في دروسه
على حق حين يقول لنا ، وهو يحدثنا عن أمور
هذه الدنيا ، بأن الانثى شأنها شأن اللبلاب الذى
يجود نماؤه مادام شديد التعلق بالشجرة ،
ولا يستفيد شيئا إذا ما انفصل عنها . لا شىء
أقرب من ذلك إلى الحقيقة ، ياسيدتى العزيزة .
وأنا نفسى ، أيتها الخاطئة العليلة ، أجد مصداق
ذلك في نفسى . وليرحم الله عزيزى مارتان
المسكين ! ولكنى كنت إبان حياته استمتع
ببشرة كبشرة الملاك ، وكنت كاملة الصحة ،
بضة الجسم ، قريرة العين ، راضية النفس .
أما الآن ، فإنى مجرد امرأة تشكو بلواها .
في هذه الفترة السعيدة التى مرت مرور البرق ،
كنت أنام في عز الشتاء دون نار ، وكان مجرد
التفكير في تجفيف الفراش يبدو أمرا مضحكا .
أما الآن فانى ارتجف في أشد الأيام قيظا .
وأخيرا صدقينى ، ياسيدتى ، إذا قلت لك إنه
لا شىء يعدل أن يكون للواحدة زوج يقضى
ليله بجانبها ، ولو لم يكن ذلك الا للسعادة التى
تشعر بها حين تسمع من يحييها حين تعطس قائلا «
« يرحمك الله ! »

سيــلى : أتجرئين على نصحى بارتكاب جريمة ، بهجران
ليلى والزواج من هذا الأعجر ؟

الرصــيفة : ليس عزيزك ليلى ، هو الآخر ، إلا أحد

الأغبياء ، ماذامت رحلته قد احتجزته كل هذا المدى ، إن طول غيابه يريبنى في أن يكون قد غير رأيه .

سيلى : (وهى تريها صورة ليلى) : آه لا تحطمينى بهذا الفأل الحزين . انظرى بإمعان إلى ملامح هذا الوجه : إنها تؤكد لقلبي هيامها الدائم ، وأنا لا أستطيع إلا الاعتقاد بأنها غير كاذبة . ولما كان هو نفسه الذى يمثله الفن في هذه الصورة ، فانه لابد أن يحتفظ للهيب حبى بحبه الدائم

الوصيفة : الحقيقة أن هذه الملامح تشير إلى حبيب جدير بالحب ، وتعطيك الحق كل الحق في أن تحبيه بكل حنان .

سيلى : ومع ذلك فلابد من . . . آه ! اسندينى .

« تترك صورة ليلى تسقط من يدها »

الوصيفة : سيدتى ، من أين يمكن أن يأتيك ؟ . . . . آه ! يا إلهى ! إنها قد أغمى عليها . هيا ! بسرعة ! ليأتنى أى أحد !

المنظر الثالث

سيلى ، الوصيفة ، سجاناريل

سجاناريل : ماذا هناك ؟ ها أنا ذا .

الوصيفة : سيدتى أغمى عليها .

سجاناريل : ماذا ! أهذا كل ما في الأمر ؟ لقد ظننت أن

كل شيء قد ضاع حين سمعت هذا الصراخ .
ومع ذلك فلنقترب . سيدتى ، هل مت ؟ هيه!
إنها لا تنبس بكلمة .

الوصيفـــة : تفضل بحملها إلىّ . إنها تحتاج إلى بعض الخل، سأجرى لأعد لها شيئا منه .

المنظر الرابع

ســـيلى ، سجاناريل ، زوجته

سجاناريل : (وهو يمر بيده على صدرها) : كل ما فيهـــا بارد ، لست أدرى ماذا أقول في ذلك . لنقترب حتى نرى ما إذا كان فمها يتنفس . لا أدرى ، شيئا والله ، ولكنى ، أنا شخصيا لا أزال أجد فيها بعض علامات الحياة .

زوجة سجاناريل : (وهى تطل من الشباك) : آه ! ما هذا الذى أراه ؟ زوجى ، زوجى في أحضانهـــا ! . . . ولكن يجب أن أنزل : لا شك أنه يخونـــنى ، أريد أن أفاجئـــه .

سجاناريل : يجب الإسراع في إنقاذها ، لاشك أنها مخطئة إذ تستسلم للموت ، فالذهاب إلى العالم الآخـــر حماقة كبرى ، مادام في وسع المرء أن يبقى في هذا العالم .

(يحملهـــا)

المنظر الخامس

زوجة ، سجاناريل ، (لنفسها)

لقد ابتعد فجأة عن هذا المكان ، وهذا الفرار يخيب رغبتى في الاستطلاع ، ولكنى لم أعد أشك في خيانته ، فهذا القليل الذى رأيته يكشف لى عن كل شئ . لم يعد يدهشنى ذلك البرود الغريب الذى يجيب به على حرارة رغبتى المحتشمة . إنه ، ذلك الجحود يحتفظ بملاطفاته للأخريات ، ويغذى متعهن بالصوم عن متعنا . وهذه هى الخطة المشتركة بين جميع الأزواج : كل ما هو حلال لهم يصبح كريها لديهم . في البداية يكونون كلهم روعة وإخلاص ، ويظهرون نحونا هياما وإقبالا معدومى النظير ، ثم لا يلبث أولئك الخونة أن يملوا حرارة رغبتنا واشتياقنا ، ويعمدون إلى أن يمارسوا خارج بيوتهم ما كان يجب أن يمارسوه في بيوتهم . آه ! ما أشد سخطى على القانون الذى لا يخول الزوجة أن تغير زوجها كما تغير قميصها ! لو تم ذلك لكان أمرا مريحا ، وفي الحقيقة أنا أعرف هنا من يتمنى ذلك كما أتمناه .

(وهى تلتقط الصورة التى سقطت من سيلى)

ولكن ما هذه الدرة التى ساقها إلى القدر ؟ إن المينا التى زينت بها في غاية الجمال ، وحشوها في نهاية الروعة لنفتحها .

المنظر السادس

سجاناريل ، وزوجته

سجاناريل : (معتقدا أنه وحدة) : كنا نظنها قد ماتت ، ولكن الأمر ايسر من ذلك. الواقع أنهـا على حالها ، صحتها على ما يرام. ولكنى ألمحزوجتى

زوجتـه : (معتقدة أنهـا وحدها) : ياللسماء ! إنهـا منمنمة ، وفيها صورة حية لرجل جميل.

سجاناريل : (لنفسه ، وهو يبعث بنظره عبر كتف زوجته) ما هذا الذى تنظر فيه بإمعان ؟ هذه الصـورة ، ياشرفي ، لا تنبئ بأى خبر. أحس أن نفسى تهتز من تأثير ريبة سيئة جدا.

زوجتـه : (تستمر ، دون أن تلمحه) لم يقع تحت بصرى قط شيء أجمل منها ، وما فيها من عمل يفوق في جماله ما تحتويه من ذهب. هو ! هـو ! ما أطيب رائحتها !

سجاناريل : (جانبا) ماذا ! ياللعار ! قبلة ! أخ ! يا لعرضى المكلوم !

زوجتـه : (مواصلة) : لاشك أن الواحدة تكون في قمة السعادة حين ترى نفسها في رعاية رجل على هذه الدرجة من حسن الخلقة ، وانه اذا غازلهـا برفق ، كان ميلها للوقوع في إغرائه كبـيرا. آه ! لو كان لى زوج جميل المحيا كهـذا ، بدلا من زوجى الأجرب ، زوجى الجلف ! . . .

سجاناريل : (منتزعا منها الصورة) : آه ! أيتها البشعة ! لقد ضبطناك متلبسة بالخطأ ضدنا ، مسترسلة في النيل من شرف زوجك العزيز . إذن ، أنت تعتقدين ، يازوجتي الفاضلة فوق الحد ، بعد طول الحساب ، أن السيد ليس في مستوى السيدة ؟ قولي لي بحق إبليس الذي أرجو أن يخطفك ، من هذا الشريك النادر الوجود الذي يمكن أن تتطلعي إليه ؟ من ذا الذي يستطيع أن يرى فيّ ما ألالم عليه ؟ هذه القامة ، هذا السمت الذي يعجب به الجميع ، هذا المحيا الذي لم يخلق إلا للحب ، والذي تتمناه ليلها ونهارها ألف فاتنة وفاتنة ، بالاختصار وقصارى القول ، ليس شخصي الساحر ، إذن ، بالقطعة التي تحظى برضائك ؟ ومن أجل إشباع شهيتك النهمة ، تريدين أن تضمي إلى الزوج شهيت العاشق ؟

زوجته : ألمح من بين السطور إلى أين تتجه السخرية . تظن أنك بهذه الوسيلة . . .

سجاناريل : قولي هذا لغيري ، أرجوك ! لقد وضح الخفاء ، وفي يدي الآن شهادة خطيرة بالداء الذي أشكو منه .

زوجته : إن غضبي الآن قد بلغ منتهى الشدة ، وليس في حاجة إلى أن أعبئه بشحنة جديدة . أنصت !

: لا تظن أن الجوهرة التي اختطفتها من يــــدى خاصة بى . وفكر في . . .

سجاناريل : أفكر في قطع رقبتك . ولن يهدأ لى بال إلا إذا قبضت على الأصل كما أقبض على الصورة !

زوجتــه : لمــاذا ؟

سجاناريل : لاشيء ، يا صديقتى : إنه لشيء نادر عزيــز ، ومن الخطا الفاحش أن أصرخ هكذا ، بل على جبينى أن يشكرك على هديتك القرنية . (ينظر إلى صورة ليلى .)

هذا هو الغلام الجميل ، غلام الفراش اللطيف ، عود الثقاب البائس لشــعلتك السرية ، الصغير الذى معه . . .

زوجتــه : الذى معه ؟ . . . أكمل . ماذا يعنى بذلك هــذا السيد السكير ؟

سجاناريل : انت تفهميننى جيدا ، يا سيدتى الجيفة . إن اسم سجاناريل لن يطلق علىّ منذ الآن ، بل سأنادى باسم السيد ذى القرنين . لقد فقدت شرفي ، ولكنى ، وأنت التى أفقدتنى هذا الشرف ، سأكسر لك ذراعا أو ضلعين من أضلاعك على الأقل .

زوجتــه : وتجرؤ على مخاطبتى بهذا الشكل ؟

سجاناريل : وتجرئين على خداعى بهذه ألا لاعيب الشيطانية؟

زوجتـــه : أى ألاعيب شيطانية ؟ تكلم دون مواربة .

سجاناريل : آه ! لا فائدة من الشكوى ! أن تزيني جبيني بتاج الغزال ، هذا جميل حقا ، واأسفاه ! تعالى وتأملى هذا الجمال !

زوجتـــه : إذن ، بعد أن وجهت الى أفدح الإهانات التى من شأنها أن تستثير انتقام أية امرأة ، أنت تحاول أن تلجأ الى التسلية الفارغة بغضب متكلف تتقى به آثار سخطى ؟ إن وقاحة هذه الطريقة شيء جديد : من يوجه الإهانة هو الذى يرفع الصوت بالاحتجاج .

سجاناريل : اه ! يا للمتبجحة الفاخرة ! إن من يرى هذا الوقار الشامخ يعتقد أنها أمرأة شريفة .

زوجتـــه : هيا ، هيا ، سر في طريقك ، داعب عشيقاتك ، وجه إليهن أعذب أمانيك ، وأغمرهن بملاطفاتك . ولكن رد إلى لَو حتّى دون أن تلعب بى

(تنتزع منه الصورة وتفر)

سجاناريل : (يجرى خلفها) : نعم ، تظنين أن تنجى منى ، سأستعيدها رغم أنفك .

المنظر السابع

ليـلى ، رينيه البدين

رينيه البدين : أخيرا ، ها نحن قد وصلنا . لكن يا سيدى ، إذا سمحت لى ، فإنى أتوسل إليك أن أسألك شيئا .

ليلى : هيه ! تكلم .

رينيه البدين : أأنت معجون بماء العفاريت حتى لاتنهار من كل هذا المجهود ؟ فقد مرت علينا ثمانية أيام ونحن نواصل السفر في مراحلك الطويلة ، منها لين بعصيّنا على أفراس ضعيفة عجفاء دأبت مشيتها اللعينة على تطويح أجسامنا تطويحا حتى أصبحت ، من جهتى ، أشعر بأن كل أعضائى قد تخلعت ، فضلا عن حادثة أخرى أشد سوءا أضابت منى موضعا لا أستطيع تسميته . ومع ذلك ، ما إن وصلنا هنا حتى سارعت بالخروج دون أن تستريح لحظة أو تأكل لقمة .

ليلى : هذه العجلة المحمومة لا تستحق أى ملام ، فقد طرقت مسامعى أنباء عن زاوج سيلى ، وأنت تعرف انى أعبدها ومهمتى الآن ، التى تجبُ كل ما عداها ، أن أتحقق من هذه الإشاعة المشئومة .

رينيه البدين : ولكن لابد لك ، يا سيدى ، من وجبة جيدة ، من أجل الاستمرار في استيضاح هذه المسألة ، فلاشك أن ذلك سيمد قلبكُ بقدر من القوة يمكنك من احتمال ما يخبئه لك القدر من هجمات . وأنا أقول هذا الكلام لك بناء على تجاربى الخاصة ، فإن أقل سوء يصيبنى ، وأنا خاوى المعدة يشل حركتى ويهدم كيانى ،

ولكنى إذا كنت قد ملأت بطنى فان نفسى تستطيع الصمود أمام كل شيء ، ولا تقوى أشد الكوارث على النيل منها . اسمع كلامى واحسن بطنك ، دون ماحد ، ضد الضربات التى قد يوجهها لك الحظ ، وإذا أردت أن تسد الطريق بين نفسك وبين كل ألم ، فحصن قلبك بعشرين كأسا من النبيذ .

ليلى : لا أستطيع الأكل .

رينيه البدين : (يتلو جانيا هذه الجملة) : حسن : إنى على وشك الموت . ومع ذلك فان غذاءك سيكون جاهزا بعد لحظة .

ليلى : اسكت ، هذا أمر منى .

رينيه البدين : آه ! ياله من أمر غير إنسانى !

ليلى : إن الذى ينتابنى هو القلق ، وليس الجوع .

رينيه البدين : أما أنا فأشعر بالجوع والقلق من أن أرى حبا أبله يسيطر على كل اهتمامك .

ليلى : دعنى أتحرَّ عن موضوع مناى وكل آمالى ، وبدلا من إزعاجى ، رح كل ، إذا أردت .

رينيه البدين : لا اعتراض لى على أمر صادر من سيد .

المنظر الثامن

سجاناريل ، ليلى

سجاناريل : (دون أن يرى ليلى ، ويمسك بالصورة في يده)

ها هو في يدنا ، وفي مقدوري أن أتأمل على راحتي سحنة هذا المجرم اللعين التي تسبب في غضبي . لم يسبق لي أن عرفته .

ليلى : (جانبا) : يا إلهي ! ماذا أرى أمامي؟ إذا كانت هذه صورتي ، فما معنى ذلك ؟

سجاناريل : (يستمر دون أن يرى ليلى) : آه ! مسكين أنت يا سجاناريل ، ما أبشع المصير الذي تتعرض له سمعتك !

(يلمح ليلى الذي ينظر إليه ، يدير وجهه ناحية أخرى) : يجب . . .

ليلى : (جانبا) : هذا الضمان لايمكن أن يكون قد خرج من اليد الذي وضعته فيها دون أن يزعزع ثقتي .

سجاناريل : (جانبا) : ياويلتاه ! أيشير إليك الناس بأصابعهم في صورة قرنين ، ويؤلفون عنك الاغاني ويقذفون في وجهك بالإهانات التي تطبعها على جبينك امرأة قليلة الأصل ؟

ليلى : (جانبا) : هل أنا واهم ؟

سجاناريل : (جانبا) : آه ! أيها الصعلوك ، أنواتيك الشجاعة على أن تجعلني ديوثا ، وأنا لا أزال في زهرة عمري ؟ وأنت يا زوجة رجل يمكن أن يعتبر جميلا ، أيليق به أن يقوم شحاذ قبيح الخلقة ومخبول لعين . . . ؟

ليـــلى : (جانبا) وهو لايزال ينظر إلى الصـــورة) .
لست مخدوعا ، هذه صورتى بعينها .

سجاناريل : (يدير له ظهره) : هذا رجل فضولى .

ليـــلى : (جانبا) ما أشد دهشتى !

سجاناريل : إلى من ، إذن ، يتجه غضبـــه ؟

ليـــلى : (جانبا) سأكلمه .

« بصوت عـــال »

أتسمع لى ؟ . . .

(سجاناريل يريد أن يبتعـــد)

هيه ! من فضلك كلمة واحدة .

سجاناريل : (يزداد ابتعادا عنه) : ماذا يريد منى ، ياترى؟

ليـــلى : هل أستطيع أن أحصل منك على معرفةالمصادفة
التى أدت الى وقوع هذا الرسم بين يديك ؟

سجاناريل : (جانبا ، وهو يتفحص الصورة التى يمســـك
بها ويتفحص ليلى) : ما سبب هذه الرغبـــة ؟
ولكنى أرى هنا . . . آه ! هأنذا في الحقيقة ،
أصير على بينة من سبب اضطرابه ! لم تعـــــد
دهشته تحير نفسى ؛ إنه رجلى ، أو بالاحـــرى
رجل امرأتى .

ليـــلى : خلصنى من هذا العذاب ، وقل لى من أيـــــن
لك . . .

سجاناريل : إننا نعرف ، ولله الحمد ، مصدر القلق الـــذى

يسيطر عليك . هذه الصورة التى تضايقك فيها شبهك ، وقد كانت بين يدى من تعرفهـــا ، إذ ليس مما يعتبر سرا علينا نحن الاثنين تـــلك العلاقات المتاججة التى بين السيدة وبينك . ــ ولست أدرى وسط هذه العلاقات الغراميـــة ، ما إذا كان لى شرف معرفة سيادتكم لى ، ولكن امنحنى شرف الكف منذ الآن عن حب يراه أى قرين أمرا في غاية السوء ، واعلـــــم أن روابط زواج ــ مقدس . . .

ليـــلى : ماذا : تقول تلك التى كانت تحتفظ بهـــــذا الضمان . . . ؟

سجاناريل : هى قرينتى ، وأنا قرينهـــا .

ليـــلى : قرينهـــــا ؟

سجاناريل : نعم ، أقول لك قرينها ، وقرينها المقرن جدا ، وأنت تعرف السبب ، وأنا ذاهب من فـــورى لإخبار أهلهـــا .

المنظر التاسع

ليـــلى (وحده)

آه ! ماذا أسمع ! لقد سبق أن أخبرت بذلك، وأخبرت بأن من تزوجته أقبح رجل في العالم . آه ! إذا كانت آلاف الأيمان التى سمعتها من فمك الحانث لم تضمن لى وفاء أبديا ، فان مجرد الاحتقار الذى يستحقه اختيار وضيع مرير كهذا

من شأنه أن يخفف من لهيب حبى ، أيتهـــا الجاحدة ، فمهما كانت ثروته . . . ولكـــن هذه الإهانة البالغة مضافا إليها متاعب رحلـــة طويلة تصيبنى بصدمة مفاجئة خار قلبى مـــن عنفها ، وترنح جسمى .

المنظر العاشر

ليـــلى ، زوجة سجاناريل

زوجة سجاناريل : بالرغم منى هذا الخائن . . . وا أسفاه ! مـــن أى ألم تشكو ؟ أراك ، ياسيدى ، على وشـــك السقوط من الضعف .

ليـــلى : إنه ألم انتابنى بصورة مفاجئة .

زوجة سجاناريل : أخشى عليك هنا من الإغماء . ادخل هـــذه الصالة ، حتى يزول عنك الألم .

ليـــلى : أقبل هذه المكرمة لمدة لحظة أو لحظتين .

المنظر الحادى عشر

سجاناريل – قريب زوجته

القريـــب : أنا أقدر جيدا قلق الزوج من هذه الناحيـــة ، ولكن هذا أيضا تسرع في الحكـــم ، فـــكل ما سمعته منك ضدها ، يا قريبى ، لا يكـــفى لإثبات أنها مجرمة ، هذه نقطة دقيقة ، ومثـــل هذه الجرائم لا يمكن القول بثبوتها ما لم يتأكـــد المرء من وقوعها .

سجاناريل : معنى ذلك أنه ينبغي أن يلمس المرء الأمر بيده .

القريب : سرعة الحكم تعرضنا للوقوع في الخطأ . هل تدرى كيف وصلت هذه الصورة الى يدها ، بل وما إذا كان هذا الرجل معروفا لها ؟ تحقق من ذلك بصورة أحسن ، وإذا كان الأمر كما يظن ، فإنا سنكون أول من يعاقبها على جريمتها

المنظر الثانى عشر

سجاناريل (وحده)

هذا خير ما يمكن أن يقال، فمن الخير أن يسير الإنسان بحذر ، ولعلى أكون قد وضعت في رأسى هذه الخيالات القرونية من باب الخطأ . وأخيرا فان هذه الصورة التى أثارت الذعر في نفسى لاتؤكد مطلقا انى فقدت شرفي فلنحاول اذن بمجهوداتنا . . .

المنظر الثالث عشر

سجاناريل ، زوجته ، ليلى (على باب سجاناريل ويتكلم مع زوجته)

سجاناريل : (وحده ، وقد رآهما) : أخ ! ماذا أرى؟ أكاد أموت ! لم يعد الأمر في هذه الساعة يتعلق بصورة : هذا هو الشيء نفسه بلحمه وشحمه .

زوجة سجاناريل : (ليلى) : إنك تتعجل أكثر مما ينبغي ، ياسيدى إذا خرجت الآن ، فقد تعاودك الآلام

ليــلى : كلا ، كلا ، أشكرك ، ياسيدتى ، أجمل ما يكون الشكر على ماقدمت لى من إنقاذ يفوق كل تقدير .

سجاناريل : (جانبا) : وفوق ذلك يجرؤ الوقح على أن يقدم لها ضروب المجاملات (زوجة على أن تدخل بيتها .)

المنظر الرابع عشر

سجاناريل ، ليــلى

سجاناريل : (جانبا) : لقد لمحنى . لننظر ماذا عساه أن يقول ..

ليــلى : (جانبا) : آه : إن نفسى شديدة القلق . وهذا المخلوق يوحى إلى بالـ . . . ولكن يجب أن أنبذ هذه الثورة التى لامبرر لها ، وألا أرجع أتراحى إلى غير قدرى المنحوس ، ولنقنع بأن نغبــط سعادة هذا الرجل فى حبه !

(يمر بالقرب منه وينظر إليه .)

أوه ! ما أسعده بأن تكون له زوجة على هـــذا القدر من الجمال !

المنظر الخامس عشر

سجاناريل ، ســيلى ، (فى شباكها ، تنظر إلى ليلى وهو ينطلق مغادرا)

سجاناريل : (دون أن يرى سيلى) : ليس فيما قالـــه أى غموض . فهذا الكلام الغريب يجعلنى أشعـــر

بالعار ، كما لو كان رأسى قد نبت عليه قرنان.
(ينظر الى الناحية التى خرج منها ليلى)
هيا ، ان سلوكه لا شيء فيه من الشرف

سيلى : (جانبا ، وهى تدخل) : ماذا ! لقد ظهرليلى أمام عينى منذ قليل . ماذا يمكن أن تخبئ لى عودته إلى هذا المكان ؟

سجاناريل : (متابعا ، دون أن يرى سيلى) : « أوه ! ما أسعده بأن تكون له زوجة على هذا القدر من الجمال ! » بل بالأحرى ما أتعسه بأن تكون له ، هذه الداعرة التى أدى غرامها الأثيم ، الذى ثبت إثمه بما لايدع مجالا للشك ، الى جعلنا من الديوثين ، دون احترام ولا يحزنون !
(سيلى تقترب منه شيئا فشيئا . وتنتظر حتى تنتهى ثورته لتكلمه)
ولكن كيف تأتى لى أن أتركه يذهب بعد هذا الدليل ، وأظل مرسل الذراعين كالمغفل ؟ أخ ! كان يجب على الأقل أن ألقى بقبعته على الأرض ، أن أقذفه بالحجارة ، أو ان الطخ له ملابسه بالوحل ، وأن أنادى الجيران بكل استعلاء ليصيحوا في وجهه قائلين : الحقوا بلص الشرف . فلاشك أن ذلك كان من شأنه أن يسكن من ثورة غضبى .

سيلى : (لسجاناريل) : هذا الذى مر بجانبك الآن وكلمك ، من أين تعرفه ؟

سجاناريل : وا أسفاء ! لست أنا الذى أعرفه ، يا سيدتى ، امرأتى هى التى تعرفه .

سيلى : ما هذا الاضطراب الذى يقلق بالك ؟

سجاناريل : لا تلوميني على هم في غير أوانه ، ودعيني أقذف الزفرات بالآلاف .

سيلى : من أين انتابتك هذه الالآم غير المعتادة ؟

سجاناريل : إذا كنت مهموما ، فليس ذلك من أجل لاشيء ، وأنا أراهن إذا كان أى شخص في مكانى لا يشعر بنفس ما أشعر به من كمد ، فأنا نموذج للأزواج التعساء : استبيح عرض سجاناريل المسكين ، ولكن العرض لا يحتل إلا جزءاً صغيرا من أحزانى ، فقد استبيحت أيضا سمعتى .

سيلى : كيف ذلك ؟

سجاناريل : هذا الظريف ، وأقول ذلك تأدبا ، جعلني ديوثا ، ياسيدتى ، وبكل إباحية . وقد تحققت اليوم بعينى من العلاقة السرية بين زوجتى وبينه.

سيلى : هذا الذى منذ لحظة . . . .

سجاناريل : نعم ، نعم ، دنس شرفي : إنه يعبد زوجتى ، وزوجتى تعبده .

سيلى : أخ ! لقد سبق أن شعرت بأن هذه العودة السرية تخفى وراءها فعلة مريبة ، وما وقع عليه بصرى حتى ارتعد جسمى إحساسا بما كان لابد أن يحدث .

سجاناريل : أنت تدافعين عني بكل طيبة ، وليس كل الناس على هذه الدرجة من الخير . فقد علم البعض منذ فترة بنكبتي ، وبــدلا مــن أن يشاطروني آلامي ، اكتفوا بالضحك مني .

سيــلى : هل هناك ماهو أكثر سوادا من فعالك الجبان ، وهل يمكن أن نجد له عقابا كافيا ؟ الا يمكن أن تعتبر نفسك غير أهل للحياة ، بعد أن دنست نفسك بهذه الخيانة ؟ يا إلهي ! اهذا ممكن ؟

سجاناريل : هذا هو الحق ، كل الحق في نظرى .

سيــلى : لا ، لا ، ليس في الجحيم عذاب إلا ويعتبر عقابا خفيفا جدا بالنسبة لجريمتك .

سجاناريل : ما أحسن ما قلــت !

سيــلى : مثل تلك الطيبة ومثل تلك البراءة تعامل هذه المعاملة !

سجاناريل : (يزفر بصوت عال) : هيــه !

سيــلى : قلب لم يرتكب في حياته أقل شيء ، أيستحق هذه الإهانة التي يعرضه لها احتقارك ؟

سجاناريل : هذا صحيح .

سيــلى : ذلك الذى على البعد ... لكن هذا كثير ، كثير جدا ، ولا يمكن لهذا القلب أن يفكر فيه دون أن يموت من الألم .

سجاناريل : لا تغضبي إلى هذا الحد ، يا سيدتى العزيزة :
إن ألمى يحز في نفسك إلى أقصى حد ، وكلماتك
تنفذ إلى نفسى

سيـــلى : ولكن لا تتماد في خداع نفسك حتى تتوهم
أنى أريد الوقوف عند حد الشكاوى التى لا
ثمرة من ورائها . إن قلبى يعرف ما ينبغى أن
يفعله بك من أجل الانتقام لنفسه ، وها أنذا
أسارع بفعله ، ولن يحول شيء بيني وبينه .

المنظر السادس عشر

سجاناريل (وحده)

حفظها الله من كل ضر ! انظر كيف وصلت
بها الطيبة إلى درجة أنها تريد الانتقام لى !
الواقع أن الغضب الذى أثارته فيها نكبتى
يعلمنى بأفصح لسان ما يجب علىّ أن أعمله ،
والواقع أنه لا ينبغى للانسان قط أن يعانى مثل
هذه الإهانات دون أن ينبس بكلمة ، وإلا كان
معتوها بكل ما في كلمة العته من معنى .
فلنسارع ، إذن ، إلى البحث عنه ، هذا اللعين
الذى يجابهنى ، ولنظهر شجاعتنا في الانتقام
لعرضنا ، وسترى أيها العتل كيف تضحك على
حسابنا وتجعل الناس ديوثين دون احترام أو
توقير ! (يستدير بعد أن يقوم بثلاث خطوات
أو أربع خطوات ، .)

مهلا ، من فضلك ! فهذا الرجل تدل سحنته على غليان دمه وتمرد نفسه ، ويستطيع بكل سهولة ، وهو يراكم الإهانة فوق الإهانة أن يحمل رأسي بأعواد الخشب كما حمل بالقرون جبيني . إني أبغض النفوس المتهورة بقدر ما أعشق الأشخاص المسالمين ، ولست ممن يقبلون على الصراع خوفا من أن أصرع ، ورمائة المزاج هي فضيلتي الكبرى . ولكن شرفي يقول لى إنه يتحتم على أن أنتقم له من هذه الإهانـــة. لا ، لندعه يقل ما يحلـــو له أن يقوله : هــذا الشيطان الذي مع ذلك ، ان يضيره شيء ! وإذا ظهرت بمظهر الرجل الشجاع ، وانتابتني من سوء حظي ضربة عاتية من سيف فتحــت لى بطني ، وامتلأت المدينة بأخبار موتي ، فقل ، ياشرفي ، هل سيزيدك ذلك شحما ولحما ؟ إن القبر مسكن مقبض إلى أقصى حد ، ضار إلى أقصى حد بالنسبة لأولئك الذين يخشون المغص. أما من جهتي ، فإني ، بعد طول التروي ، أفضل أن أكون ديوثا على أن أكون ميتا . فما هـــو الضرر الذي ينجم عن ذلك ؟ هل هو ، في آخر المطاف ، يسبب اعوجاج الساق أو يقلـــل من جمال القامـــة ؟ ألا لعنـــة الله على أول شخص اخترع فكرة تعذيب النفوس من جراء هـــذا الشيخ وربط شرف أحكم الرجال بالأشياء التي يمكن أن ترتكبها امـــرأة منحرفة الســـلوك ،

وما دمنا نذهب بحق إلى أن الجريمة من الأمـــور الشخصية البحتة ، فما هو نصيب شرفنا في هذا الفعل ، لكي نحكم عليه بالإجرام ؟

كيف لنا أن نلام على أعمال غيرنا ؟ وإذا كانت زوجاتنا البلهاوات يعقدن صلات مزرية دون إذننا ، فهل من الحق أن تقع كل المسئولية على ظهورنا ؟ إنهن يرتكبن الحماقات ، والحمقى نحن ! هذا سوء استغـــلال شنيع ، وعلى رجال السياسة أن يضعوا من القوانين ما يرفع عنا هذا الجور ! ألا تكفيني الكـــوارث الأخرى التي تنقض علينا بالرغم منا ؟ المشاحنات والمحاكم والجـــوع والعطش والمـــرض ، أليست كلها كافية لإقـــلاق ساكن حياتنا حتى نسارع بكل غباء الى أن نضيف إليها ، من فـــوق البيعة ، أتراحا لا أساس لها ؟ فلنسخر من ذلك، ولنحتقر نذر الخطر، ولنلق بالزفرات والدموع تحت أقدامنا . إذا كانت زوجتي قد زلت، فلتجهش هي بالبكاء ، ولكن لماذا أبكي أنا ، اذا كنت لم أخطئ ؟ على كل حال ، مما يرفع عني الكدر أنني لست وحدي في جمعيتي : فالكثيرون من أحسن النـــاس في أيامنا هذه يرون زوجـــاتهم موضعا لمغازلة غيرهم دون أن يحركوا ساكنا . إذن ، فلنكف عن محاولة البحث عن شجار من أجل إهانة تعتبر أمرا في غايـــة التفاهة . نعم ،

سيدعونى الناس بالمغفل ، لأنى لم أنتقم لنفسى ، ولكنى سأكون أكثر غفلـة ، إذا خاطرت بحياتى .

(يضع يده فوق معدته)

ومع ذلك فإنى أشعر هنا بتحرك مرارة تريد أن تنصحنى بعمل شىء فيه رجولـة ، نعم ، إن الغضب يستولى على ، لأن الجبن شىء فظيع : أريد بكل إصرار أن أنتقم من هـذا اللص ، ولكنى أبدأ وأنـا في قمة الغليـان ، سأذهب للإعلان في كل مكان أنه يضاجع زوجتى .

المنظر السابع عشر

جورجيبوس ، سـيلى ، الوصيفة

سـيلى : نعم ، لقد طابت نفسى بأن أحمل تبعة هـذا القانون العادل : أبى : بين يديك أضع مصـير مستقبلى ومصيرى ، فأعمل على أن توقع عقد هذا الزواج حينما تريد ، وأنا قد عقدت العزم على أداء واجبى ، ووطدت نفسى للسيطـرة التامة على عواطفى ، والخضوع الكلى لأوامرك .

جورجيبوس : آه ! ما أشد سرورى أن أراك تقولين هـذا الكلام ! يا الله ! ان البهجة تستخفنى في هـذه اللحظة إلى حد أنى أجدنى مدفوعا للرقص ، لولا أن هناك من يروننا ، وقد يضحكون منا . اقتربى منى ، تعالى هنا حتى أقبلك : فمثل هذا

العمل لا حرج فيه ! إذ يستطيع الأب أن يقبل ابنته كما يشاء ، دون أن يكون ذلك موضعا للقيل والقال . هيا ، إن سروري بأن أرى ما أنت عليه من حسن التربية يرجع بسنى عشر سنوات إلى الشباب .

المنظر الثامن عشر

سيلى ، الوصيفة

الوصيفة : هذا التغير يدهشني .

سيلى : وحين تعرفين الباعث لى على هذا السلوك ، فانك ستقدرينني .

الوصيفة : هذا جائز .

سيلى : اعلمى ، إذن ، أن ليلى قد جرح قلبى بخيانته ، وأنه كان هنا دون أن . . .

الوصيفة : ولكن هاهو قادم نحونا .

المنظر التاسع عشر

ليلى ، سيلى

ليلى : قبل أن أغادرك الى الأبد ، اريد على الأقل ، أن أوجه اليك بعض اللوم في هذا المكان . . .

سيلى : ماذا ! لازلت تريد أن تكلمنى ؟ أبلغت بك الجرأة هذا الحد ؟

ليلى : نعم ، إنها لكبيرة ، فقد بلغ اختيارك حدا يجعل من الإجرام أن أوجه إليك أى لوم .

عيشى ، عيشى راضية النفس ، وتحدى ذكراى
بهذا الزوج الهمام الذى تحسبينه مجدا من الأمجاد.

سيـــلى : نعم ، أيها الخائن ! هكذا سأعيش ، وستكون
أعز امنياتى أن يتصدع قلبك من جراء ذلك .

ليـــلى : من ذا الذى أثار ضدى هذا الغضب المشروع ؟

سيـــلى : ماذا ! تتظاهر بالدهشة وتتساءل عن جريمتك ؟

المنظر العشرون

سيلى ، ليلى ، سجاناريل ، الوصيفة

سجاناريل : (يدخل مسلحا) : الحرب ، الحرب القاتلة
للص العرض ، هـــذا الذى دنس شرفي دون
رحمـــــة !

سيـــلى : (لليلى ، وهى توجه نظرة إلى سجاناريل) :
أدر ، أدر عينيك ، دون أن تضطرنى إلى الإجابة

ليـــلى : أخ ! أرى . . .

سيـــلى : هذا الشخص يكفى وجوده لتغطيتك بالخجل .

ليـــلى : بل بالاحرى لصبغ وجهك بحمرته .

سجاناريل : (جانبا) : الآن ، أصبح غضبى مستعد لإجراء
عملى ، لقد تربعت شجاعتى فوق أفراسهـــا
العظيمة ، فاذا قابلته انجلى الأمر عن مذبحـــة .
نعم ، فقد أقسمت على موته ، ولا شيء يستطيع

أن يمنعني : سأعجل بقتله ، إن وجدته . في صميم المنطقة الوسطى من قلبه ، سأناوله . . .
(يقترب من ليلى ، وقد استل سيفه حتى نصفه)

ليلى : (وهو يستدير) على من ينصب غضبه ؟

سجاناريل : لا ينصب على أحد .

ليلى : ولماذا هذا السلاح ؟

سجاناريل : هذا لباس لبسته من أجل المطر . (جانبا) آه ! ما أعظم ما سأحسه من سرور حين أقتله ! تذرعي بالشجاعة ، يانفسي !

ليلى : (يزداد التفاتا) هيه ؟

سجاناريل : (وهو يضرب بقبضة يده على صدره ، وينزل بالصفعات على وجهه ، ليستثير حماس نفسه) أنا لا أتكلم . (جانبا) آه ! أيها الجبان الذى يثير أعصابي ! يا جبان ، يا قلب الأرنب !

سيلى : (لليلى) : انه يقول لك عن فعلتك ما فيه الكفاية ، هذا الشخص الذى تبدو في عينيك آثار الخزى منه .

ليلى : نعم وهذا ما يؤكد لى أنك آثمة بارتكاب أشنع خيانة يمكن أن تزعزع ثقة حبيب .

سجاناريل : (جانبا) : لو أوتيت شيئا من الشجاعة .

سيلى : كف ، أيها الخائن ، عن الاستمرار أمامى في هذا الحديث الوقح القاسى .

سجاناريل : (جانبا) ها أنت ترى ، ياسجاناريل ، أنها تتولى عنك المعركة : شيئا من الشجاعة ، يا بني ، كن قويا بعض الشيء ، جرئيا ! حاول أن تبذل مجهودا سخيا ، واقتله في هذه اللحظة التي يدير فيها نحوك مؤخرته .

ليلى : (يخطو خطوتين أو ثلاث خطوات دون هدف ، ويؤدى ذلك إلى أن يعود سجاناريل الذى كان يقترب منه ليقتله) :

ما دام مثل هذا الحديث يثير غضبك ، فإن عليّ أن أظهر رضائى عن قلبك ، وأن أعلن عن إعجابي بجمال اختياره .

سيلى : نعم ، نعم ، ليس في اختيارى ما ألام عليه .

ليلى : هيا ، إنك تحسنين صنعا حين تحرصين على الدفاع عنه .

سجاناريل : طبعا ، إنها تحسن صنعا حين تدافع عن حقوقي. فهذا العمل ، يا سيدى ، ضد القوانين : وأنا على حق في شكواى ، ولولا أنى رجل حكيم ، لانجلى الأمر عن مذبحة غريبة .

ليلى : ولكن ما سبب هذه الشكوى ، وما هذا القلق القاتل الذى . . .

سجاناريل : كفى . أنت تعرف جيدا في أى موضع منى تؤذيني «البردعة» ، ولكن كان ينبغى لضميرك ويقظة نفسك أن يضعا أمام عينيك هذه الحقيقة ،

وهى أن امرأتى هى امرأتى . أما أن تجعل منهـا خليلتك تحت سمعى وبصرى ، فليس ذلك من سلوك ذوى الأخلاق الفاضلة بأية حال .

ليـلى : مثل هذا الظن دنىء ومضحك . اطمئن ، ولا يكن عندك أى قلق من هذه الناحية : فأنا أعرف أنها زوجتك ، وليس لدى أى شغف . . .

سـيلى : آه ! أيها الخائن ، ما أقدرك على النفاق !

ليـلى : ماذا ! تتهموننى بأن يكون من بين مقاصـدى ما قد يوسوس لنفسه بالتفكير فى أن أكون قد أهنته ؟ بهذه الدرجـة من النذالة تريـدون أن تلطخوا سمعتى ؟

سـيلى : كلمه ، كلمه هو ، فى وسعه أن يوضـح لك الأمـر .

سجاناريل : كلا ، كلا ، أنت تتكلمين أحسن مما أستطيع أنا أن أفعل ، وتتناولين الموضوع من الزاويـة الصحيحة .

المنظر الحادى والعشرون

سيلى ، ليلى ، سجاناريل ، زوجته ، الوصيفة

زوجة سجاناريل : (لسـيلى) :

لست على استعداد ، يا سيدتى ، لأن أفجـر أمامك نفسا تأكلها الغيرة ، ولكنى لست غرة ، وأعرف ما يجرى . وهناك من الحب ما هو من

نـوع رخيص . وكان أولى بك أن تبحثى لك عن مهنـة أخرى غير إغـراء قـلب لا ينبغى أن يكون لأحد سواى .

سـيلى : قول ساذج بما فيه الكفاية .

سجاناريل : (لزوجتـه) :

لم يطلب أحـد مجيئك أيتها الجيفـة ، جئت تتشاجرين معها لأنها تدافع عنى ، رأنت ترتعدين خوفا من فقدان عشيقك .

سـيلى : لكن ، لا تظنى أن هناك من يرغب فيه .

(ملتفة نحو ليلى)

ترى الآن أن ما أقوله حق ، وأنا مبتهجة لذلك .

ليـلى : ماذا يريدون أى يحكوا لى ؟

الوصيفـة : والله ، لا أدرى متى نرى نهاية هذه الالغـاز. لقد مر وقت طويل وأنا أحاول أن أفهم شيئا ، ولكنى كلما امعنت في الانصات ازداد عجزى عن الفهم ، وأخيرا أرى أنه لابد لى من التدخل (تذهب فتقف بين ليلى وحبيبته)

أجيبونى واحدا واحدا بالترتيب ودعونى أتكلم

(لليـلى)

ما عسى أن يوجهه قلبك من لوم إلى قلبها ؟

ليـلى : إن الخائنة تركتنى إلى آخر غيرى ، وبمجـرد أن سمعت إشاعة زواجها المشئوم ، سارعـت

وأنا ثمل بحب لا مثيل له ، أبت عليه حرارته أن يظن أنه قد نسى ، ولم أكـد أصل إلى هنا حتى وجدتها قد تزوجت .

الوصيفـة : تزوجت ! مَن ، من فضلك ؟

ليـلى : (مشيرا الى سجاناريل) : تزوجتـه .

الوصيفـة : كيف ذلك ؟ تزوجتـه ؟

ليـلى : نعـم ، نعـم !

الوصيفـة : من قال لك ذلك ؟

ليـلى : هو نفسه ، في يومنا هـذا .

الوصيفـة : (لسجاناريل) :
هذا صحيح ؟

سجاناريل : أنا ؟ كل ما قلته أنى متزوج بزوجتى .

ليـلى : ومنذ قليل ، وسط اضطرابى البـالغ ، رأيت صورتى في حوزتك .

سجاناريل : هذا صحيح ، ها هى ذى .

ليـلى : وقلت لى أيضا إن تلك التى من يديها أخـذت هذه الصورة ترتبط بك بروابط الزواج .

سجاناريل : (مشيرا إلى زوجتـه) بكل تأكيد . ومن بين يديها انتزعتها ، ولولاها لما اكتشفت خطيئتها .

زوجة سجاناريل : ماذا جئت تقص على بهذه الشكوى التى في غير موضعها ؟ لقد وجدت هذه الصورة تحت قدمى

من باب المصادفة (مشيرة إلى ليلى) وحتى بعد ثورة غضبك الجائر ، حينما أدخلت السيد بيتنا ، وهو في حالة تعبه ، لم أستطع التعرف على ملامحه التى في الصورة .

سيلى : أنا التى تسببت في مغامرة الصورة ، فقدسقطت منى وأنا في حالة الاغماء (لسجاناريل) التى على اثرها حملت إلى البيت بعنايتك .

الوصيفة : أترون ! لولاى لظللتم حيث كنتم ، لقد كنتم في حاجة إلى ما لدىّ من دواء الجنون .

سجاناريل : (جانبا) هل لنا أن نأخذ كل ذلك على أنه مال حر قبضناه نقدا وعدًّا ؟ لكن جبينى ، متأثرا بنفسى ، قد مر بلحظات حرجة من جراء ذلك ! .

زوجته : ومع ذلك فإن خوفي لم يتبدد كله ، فمهما كان من تفاهة الخطر في هذه الحال ، فإنى لازلت أخشى أن أكون مخدوعة .

سجاناريل : (لزوجته)

هيه ! يجب أن يعتقد كل منا في حسن نيةالآخر الحقيقة أنى في هذه الحال أخاطر أكثر مما تخاطرين ، ولكن لنقبل التفسير الذى قدم لنا دون مماحكة

زوجته : ليكن . ولكن حاذر من ضرب العصا ، اذا بلغنى عنك أى شىء .

سـيلى : (لليلى ، بعد أن تكلما معا بصوت منخفض) :
آه ! يا إلهى ! إذا كان الأمر كذلك ، فماهذا
الذى عملته ؟ ما أشد ما أخشى نتائج غضبى !
نعم ، فعندما ظننت أنك غير أهل للثقة ، أردت
الانتقـام لنفسى ، ورأيت في فكرة الطاعـة
المشئومـة منقذا لى ، فتعللت بها ، ومنذ لحظة
قبل قلبي زواجا كنت قد واصلت الإصرار على
رفضه ، وعـدت والدى . . . والأمـر الذى
يحزننى . . . ولكنى أراه قادما .

ليـلى : سينفى بوعده لى .

المنظر الثاني والعشرون

سيلى ، ليلى ، جورجيبوس ، سجاناريـل ،
زوجته ، الوصيفة

ليـلى : سيدى ، ها أنت ترانى قد عدت إلى هنا بنفسى ،
النار تتأجج في قلبي ، وكلى اعتقاد في أن حبى
الملتهب سيرى تحقق الوعد الذى فتح لـه أمل
الزواج بسيلى .

جورجيبـوس : سيدى ، إذا كنت أراك قد عدت بنفس النار
تتأجج في قلبك ، وكلك اعتقاد في أن حبك
الملتهب سيرى تحقق الوعـد الذى فتح له أمل
الزواج بسيلى ، فإنى مع اعتذارى لكم لا أزال
خادم سيادتكم المتواضع .

ليــلى : ماذا ! أعلى هذا النحو ، يا سيدى ، يبوء أملى بالخسران ؟

جورجيبــوس : نعم ، يا سيدى ، على هذا النحو أؤدى واجبى : وابنتى تسير على هدى قوانينه .

ســيلى : إن واجبى يدعونى ، يــا أبى ، أن أتحلــل من وعــدك ، لصالحه

جورجيبــوس : أهذا ما تجيب به ابنتى على أوامرى ؟ بهذه السرعة تتنكرين لمشاعرك الطيبــة !

المنظر الثالث والعشرون والاخير

سيلى ، ليلى ، جورجيبوس ، سجاناريــــل ،
زوجته ، فلبريكان الوصيفة

جورجيبــوس : ماذا أتى بك هاهنا ، ياسيد فلبريكان ؟

فلبريكــان : سر هام ، علمت به هذا الصباح ، من شأنه أن يلغى الكلمة المعطاة إلغاء تاما . ابنى الذى وافقت بنتك على الزواج بــه يعيش منذ ثلاثة أشهر في سرية خفيت على أعين الجميع مع ليز باعتباره زوجا لها ، ولما كانت ثروة الوالدين ومحتدهما يحرمانني من القدرة على كسر هذا الأرتباط ، فقد جئت اليك . . .

جورجيبــوس : فلنختصر . إذا كان ابنك ، قــد ارتبط بأخرى في غيابك ، فإنى لا أخفى عليك أنى كنت قد وعدت ابنتى سيلى لليلى منذ فترة طويلــة ،

وأن عودته اليوم ، وهو المنعم بالفضائل، تمنعنى
من قبول زوج آخر غيره .

فلبريكــــان : هـــذا الاختيار يثلج قلبي .

ليلى : هذه الرغبة العادلة ستتوج حياتى بسعادة خالدة.

جورجيبـــوس : هيا ، لنختر اليوم الذى نحقق فيه الزواج .

سجاناريل : (وحده) : هل تأتى لأحـــد قبلى أن يقتنع هذا الاقتناع الجازم بأنه ديوث ؟ ها أنت ترى من تلك التجربة أن أقوى المظاهر قد يلقى في الروع بأزيف الظنـــون . فلتتذكر هذا المثل جيـــدا ، وحتى إذا رأيت بعينك كل شىء ، فـــلاتظن شرا .

★ ★ ★

المتحذلقات المضحكات

كوميديا

تأليف : ج . ب . پ . موليير

ترجمة : د . محمد م . القصاص

مثلت للمرة الأولى فى باريس على مسرح البوربون الصغير
فى اليوم الثامن عشر من نوفمبر ١٦٥٩
حيث قامت بتمثيلها فرقة "السيد"

العنوان الأصلي للمسرحية

Moliére

LES PRECIEUSES RIDICULES

COMÉDIE

شخصيات المسـرحية

لاجـرانج (عاشقان دى كروازى (منبوذان	La Grange Du Croizy
جورجيبوس : بورجوازى طيب القلب	Gorgibus
مادلون (ابنة جورجيبوس) متحذلقة مضحكة	Magdelon
كاتوس (ابنة أخت جورجيبوس) متحذلقة مضحكة	Cathos
ماروت : خادمة المتحذلقتين المضحكتين	Marotte
المنزور : خادم المتحذلقتين المضحكتين	Almanzor
المركيز دى مسكارى : تابع دى لاجرانج	Le Marquis de Mascarille
الفيكونت دى جودليه : تابع دى كروازى	Le Vicomte de Godelet

حمالان من حمالى الكراسى

بعض الجـيران

بعض لاعبى الكمان

المنظر الاول

لاجرانج ، دى كروازى

دى كروازى : يا سيد لاجـــرانج . . .

لاجـــرانج : مـــاذا ؟

دى كروازى : انظر الىّ قليلا ، دون أن تضحك .

لاجـــرانج : وبعـــد ؟

دى كروازى : ماذا تقول في زيارتنا ؟ أأنت راض عنها تمام الرضا؟

لاجـــرانج : هل ترى أن لدينا ، نحن الاثنين ، ما يبعث على الرضا ؟

دى كروازى : مطلقا ، إذا أردنا الحقيقـــة .

لاجـــرانج : أما من جهتى ، فانى أعترف بأنى قد صدمـــت تماما . قل لى ، من فضلك ، هـــل رأيت ، في كل حياتك ، معتوهتين ريفيتين بلغ بهمـــا التبجح ما بلغ بهاتين المغرورتين ؟ أم هل رأيت رجلين عوملا بمثل ما عوملنا به من احتقـــار ؟ إنهما لم تجمعا أمرهما على إصدار الإذن بتقديم مقعدين لنا إلا بشق الأنفس . أنا لم يسبق لى قط أن رأيت هذه المغالاة في الوشوشة خـــلال الآذان كالذى رأيته يحدث بينهما ، لم أر مثل هذا السيل من التثاؤب ودعك العينين ، ولاهذا العدد من مرات التساؤل المتلاحقة : « كـــم

الساعة الآن ؟ » ثم هل رأيتهما تجيبان بمجرد نعم أولا على شيء مما وجهناه إليهما ؟ وأخيرا لو كنا أقل الناس منزلة ، فهل تظن أننا كنا نعامل بأسوأ مما عوملنا به هنا ؟

دى كروازى : يبدو لى أنك تبالغ في أخذ هذا الأمر مأخذ الجد

لاجرانج : لاشك أنى آخذه هذا المأخذ ، وبشكل يدفعنى إلى الانتقام من تلك الوقاحة . وإنى على تمام المعرفة بالسبب الذى أدى إلى تعريضنا لهذه الإهانات . فروح الحذلقة لم تلوث باريس وحدها ، إنها أيضا قد تفشت في جميع الأقاليم ، ومنها امتلأت خياشيم آنساتنا المضحكات ، حتى أصبحت شخصياتهن مزيجا غريبا من الحذلقة والتأنق . وأنا أؤكد لك أنى أعرف جيدا ما ينبغى أن يكون عليه المرء لكى يحظى منهن بحسن الاستقبال . وإذا كنت لا تصدقنى ، فإنى أعرض عليك القيام معا بأن تمثل عليهن دورا يكشف لهن عن حماقتهن ، ويعرفهن قيمة مجتمعهن الذى اخترن العيش فيه .

دى كروازى : وكيف ذلك ؟

لاجرانج : لدى خادم معين ، اسمه مسكارى . يعتبره الكثيرون من الناس نوعا من الرجل المثقف ، خفيف الظل ، لأنه لاشيء الآن أرخص من أن يكون الإنسان خفيف الظل مثقفا . وهو شخص غريب الأطوار ، قرّ قرارى على أن يعمل بكل

جهده على لعب دور الرجل النبيل . ومن عادته أن يتظاهر بمراعاة أساليب المجاملة وأن يفاخر بنظم الشعر واحتقار غيره من الخدم إلى حد أنه يدعوهم بالأفظاظ .

دى كروازى : ليكن ! وماذا تنوى أن تفعل به ؟

لاجـــرانج : ماذا أنوى أن أفعل به ؟ يجب . . . ولكن لنخرج من هنا أولا وقبل كل شيء .

المنظر الثاني

جورجيبوس ، دى كروازى ، لاجرانج

جورجيبـــوس : نعم ! لقد رأيتما ابنة أختى وابنتى : فهـــل سارت الأمور على ما يرام ؟ ما نتيجة هـــذه الزيارة ؟

لاجـــرانج : هذا شيء تستطيع أن تعرفه منهما بأفضل ممـــا تعرفه منا . وكل ما نستطيع نحن أن نقوله لك هو أن نقدم لك أجزل الشكر على ما أوليتنا به من فضل . وسنظل دائما خادميك المتواضعـــين جـــدا .

جورجيبـــوس : نعم ، نعم ! يبدو أنهما يغادران ساحتنا غـــير راضيين . فإلام يرجع سخطهما ؟ لابد لنا من البحث عن جليـــة هذا الامـــر . يامن هناك ! ياهـــوه !

المنظر الثالث

ماروت ، جورجيبوس

ماروت : ماذا تريد ، يا سيدى ؟

جورجيبوس : أين سيد تاك ؟

ماروت : في مقصورتهما الخاصة !

جورجيبوس : ماذا تصنعان ؟

ماروت : مرهما للشفاه .

جورجيبوس : لقد زادت عن حدها ، هذه المراهقة . قل لهما أن ينزلا . (وحده) يبدو لى أن هاتين التافهتين تسغيان ، بمراهمهما ، إلى خراب بيتى . لم أعد أقابل في أى مكان إلا زلال البيض ومركبات الكحول وآلاف العقاقير والاشياء الأخرى التى لا أعرف عنها شيئا . لقد استهلكتا منذ وجودهما هنا حتى الآن شحم دستة من الخنازير . وهناك أربعة من الخدم يعيشون كلية على كوارع الخراف التى تستخدمانها .

المنظر الرابع

مادلون ، كاتوس ، جورجيبوس

جورجيبوس : هل من الضرورى حقا أن تنفقا كل هذه النفقات من أجل تشحيم خشميكما ؟ قولا لى ، من فضلكما ، ماذا فعلتما مع هذين السيدين اللذين رأيتهما يخرجان دون حماس . ألم أوصكما بأن تستقبلاهما كشخصين أرشحهما للزواج منكما؟

مادلــون : وأى احترام تريد منا ، يا والدى ، أن نقابل به ذلك السلوك غير القانونى من جانب هؤلاءالناس

كاتــو : وما الوسيلة ، ياخالى ، التى تستطيع بها فتاة على جانب من التعقل أن تنسجم مع شخصيهما ؟

جورجيبــوس : وماذا تأخذان عليهما ؟

مادلــون : يا لجمال طرائقهما في المجاملة وقوانين اللياقــة والغزل ! ماذا ! أتتصور أناسا يبدأون من أول وهلة بالزواج ؟

جورجيبــوس : وبماذا ، اذن ، تريدين أن يبدآ ؟ بالتسرى ؟ أليس هذا هو السلوك الذى يليق بنا أن نقدره ، أنتما وأنا ؟ هل هناك ما هو أكثر من ذلك بعثا للطمأنينة في النفوس ؟ وهذه العلاقة المقدسةالتى يهفوان إليها ، أليست دليلا على أمانتهما وحسن مقاصدهما ؟

مادلــون : آه ، يا والدى ! إن هذا الذى تقوله لايليق إلا بالبورجوازيين ، بل بأقل البورجوازيين شأنا ! ومما يغطبنى بالعار أن أسمعك تتكلم على هذا النحو ، وكان يجدر بك أن تتعلم الصيغ الجميلة للأشــياء .

جورجيبــوس : أنا لا شأن لى بالصيغ أو القوالب . قلت لك إن الزواج شىء طاهر مقدس ، وأن البداية به مــن شيم الناس الأمناء .

مادلــون : يا الهى ! لو أن الناس جميعا يشبهونك لكان من شأن القصة ألا تبدأ الا لتنتهى ! وماذا كــان

يمكن أن يكون عليه الحال لو كان قورش [1] قد تزوج [1] منذ اللقاء الأول ، وتم زواج آرونى [1] من كليلى [1] منذ الوهلة الاولى بكل بساطة ويسر ؟

جورجيبيوس : ما هذا الذى جاءت تقصه على تلك المذكورة ؟

مادلون : ها هى ذى ، يا والدى ، ابنة عمّى ستقول لك، كما أقول أنا أيضا ، بأنه لا ينبغى أن يتم الزواج أبدا إلا بعد المغامرات الأخرى . يجب على المحب ، لكى يكون مرضيا ، أن يعرف كيف يتدرج في تقديم عواطفه الجميلة ، كيف يقدم العذب منها والحنون والملتهب ، وأن يركز مسعاه في الشكليات . فينبغى له أولا أن يرى الشخص الذى يقع في حبه في الكنيسة أو خلال إحدى النزهات أو في أحد الاحتفالات العامة ، أو أن ينقاد إلى منزله بصورة حتمية على يد أحد الأقارب أو الأصدقاء ، حيث يخرج حالما مكروبا ، ويكتم هيامه عن الشخص موضوع حبه بعض الوقت ، دون أن ينسى القيام ببعض الزيارات حيث يطرح على بساط البحث من حين لحين سؤالا غزلا يكون له أثره في نفوس الحاضرين . ثم يحين يوم إعلان المحبوب بالحب ، ذلك الإعلان الذى من المعتاد أن يحدث في ممر من ممرات إحدى الحدائق في وقت يكون فيه

(١) من أبطال إحدى قصص الحذلقة لمدموازيل دى سكوديرى . (المترجم)

المرافقون قد ابتعدوا بعض الشيء ، ومن شأن هذا الإعلان أن تتبعه نوبة غضب مفاجئ يبدو واضحا في حمرة خدودنا ويؤدى إلى استبعاد العاشق الولهان من حضرتنا . ولكنه لايلبث أن يجد الوسيلة لتهدئة غضبنا ، وتعويدنا بالتدريج على تصريحات ولهى ، إلى أن ينتزع مناالاعتراف بالحب الذى يسبب لنا أقسى أنواع الألم . وبعد ذلك تتتابع المغامرات : المنافسون الذين يعترضون في طريق علاقة ثابتة الجذور ، واضطهادات الآباء ، وضروب الغيرة التى لا أساس لها ، الا المظاهر الزائفة ، ثم أنواع الشكاوى وضيوف اليأس ومغامرات الاختطاف ، وأخيرا النتيجة التى تتلو كل ذلك . هكذا يجب أن تعالج الأشياء عند ذوى العادات الجميلة ، وهى قوانين لايمكن الحياد عنها في مجال الغزل الصحيح . أما الوصول إلى الارتباط الزوجى مباشرة ومنذ الوهلة الاولى ، أما ألا يحدث الغزل إلا باتمام عقد الزواج ، فذلك مالا معنى له إلا بداية القصة من ذيلها ! وهناك أمر آخر ، يا والدى ، وهو أنه لايوجد شيء أقرب إلى العمل التجارى من هذا الإجراء ، وأنا أشعر باشمئزاز لمجرد التفكير في أن ذلك قد يحدث معى .

جورجيبوس : ما هذا التخريف الخبيث الذى أسمعه ؟ ياله من أسلوب رفيع !

كاتــو : في الحق ، يا خالى ، أن ابنة خالى قد أصابــت كبد الحقيقة . أتسأل عن الوسيلة لحسن استقبال أناس على جهل تام بقوانين اللياقة في مجـــال الغزل ؟ أنا أراهن على أنهم لم يروا في حياتهـم خريطة « حنان » [1] ، وأن مناطق « رسائل الحب » و « الملاطفات الرقيقة » و « بطاقــات الغزل » و « الأشعار اللطيفة » ، كلها مـــن الأرضين التي يجهلانها جهلا تاما . ألا ترى أن كل ما ينطوى عليه شخصهما يوحى بذلك ، وأنه ليس لهما هذا السمت الذى يعطى انطباعا طيبا عن صاحبه منذ الوهلة الأولى؟ هل يتأتى لانسان أن يأتي في زيارة غرامية بسراويل موحدة اللون وقبعة غير مسلحة بالريش ورأس غـير منسجم الشـعر ويذلة تعـانى من فقرهـا في الأشرطة ؟ . . . يا إلهى ، أى نوع من العشاق يمكن أن يكون هؤلاء ! ثم ما هذا الفقـر في التأنق ، والجفاف في الحديث ! ذلك مالا يحتمل ذلك مالا يطاق ! وقد لاحظت أيضا أن ياقاتهما ليست من النـوع الجيد ، وأنـه كان يلزم

(١) خريطة ظهرت فى أوائل النصف الثانى من القرن السابع عشر ، أى منذ انتشار الحذلقة بصورة لافتة للانظار ، وقد رسمت عليها مراحل التدرج فى الحب والاتجاه نحو الزواج ، التى تشير إليها بطلتنا المتحذلقة « كاتو » وكذلك المسارب الوعرة التى تؤدى من مرحلة إلى أخرى ، وضروب العقبات والمتاهات التى تعترض سالكها والتى قد تؤدى به إلى أن يضل طريقه وتقعد به عن اللحاق بهدفه .

لسراويلهما أكثر من نصف قدم من النسيج حتى يكون اتساع ساقيهما لائقا .

جورجيبوس : أعتقد أنهما كلتيهما مجنونتان ، ليس في مقدوري أن أفهم هذا الخلط الغريب الشأن . أنت ياكاتو ، وأنت يامادلون . . .

مادلون : يالها من فضيحة ! أتوسل إليك ، يا أبي ، أن تتجنب التلفظ بهذه الأسماء الغريبة وأن تنادينا بأسماء أخرى .

جورجيبوس : كيف ! أهذه أسماء غريبة ؟ أليست أسماءكما الرسمية ؟

مادلون : يا إلهى ! يالك من سوقي ! أما أنا ، فإنه مما يدهشني حقا أن تكون قد خلفت بنتا في درجة رقتي وثقافتي . هل سمعت يوما أن أحدا من ذوى الاساليب الجميلة يتكلم عن كاتو أو عن مادلون ، ثم ألا ترى أنه يكفي ذكر واحد من هذين الاسمين لكى تحط من قدر أجمل قصة في العالم ؟

كاتو : مما لاشك فيه ، يا خالى ، أن أى أذن على شيء ، ولو قليل ، من الرقة يؤذيها أشد الإيذاء سماع هذه الكلمات ، وأن اسم « بوليكسين » الذى اختارته ابنة خالى لنفسها ، واسم آرانت الذى أطلقته على نفسى فيهما من الجمال ما يجب أن يحملك على أن توافق عليهما .

جورجيبوس : أنصتا ، ليس لدى إلا كلمة واحدة أقولها لكما : ليس في عزمى أن أدعوكما بغير الاسمين اللذين أطلقهما عليكما عراباكما وعراباتكما ، أما بالنسبة للسيدين اللذين نحن بصددهما ، فإنى أعرف اسرتيهما وأملاكهما ، وأنا مصمم على أن تحزما أمركما لاستقبالهما كزوجين . فقد تعبت من حملكما على كاهلى ، وإن الاضطلاع بمسئولية بنتين يعتبر عبئا ثقيلا ينوء به كاهل رجل في سنى .

كاتو : أما من جهتى ، يا خالى ، فكل ما أستطيع أن أقوله لك ، أنى أعتبر الزواج شيئا جارحا إلى أقصى حد . إذ ، كيف تحتمل الواحدة مجرد فكرة أن ترقد في أحضان رجل عادى الجسم تماما

مادلون : أرجو أن تطيب نفسك بتركنا نلتقط أنفاسنا قليلا في المجتمع الباريسى الجميل الذى لم نصل إليه إلا منذ قليل . دعنا ننسج قصتنا على رسلنا ، ولا تتعجل خاتمتها على هذا النحو .

جورجيبوس : (جانبا) :

لم يعد هناك محل للشك في أنهما مجنونتان جنونا مطبقا . (بصوت عال) كلمة أخيرة : أنا لا أريد أن اسمع شيئا من هذه التفاهات أريد أن أكون هنا السيد المطلق ، ولكى أقطع الطريق على كل أنواع المناقشة ، أقول لكما : إما أن تتزوجا كلتاكما قبل فوات الأوان وإلا أقسمت

بشرفي أن أجعل منكما راهبتين ، وهذا عهد على بذلك .

المنظر الخامس

كاتو ، مادلون

كاتو : يا إلهى ! إن أباك ، يا عزيزتى ، ليس إلا جسما غائرا في المادة . ما أكثف فهمه ، وما أحلك ظلام نفسه !

مادلون : ماذا تريدين ، ياعزيزتى . إنى في أشد حالات الخجل من أجله ، ومن أصعب الأمور على نفسى أن اقنع نفسى بأنه من الممكن أن أكون ابنته حقيقة ، وأعتقد أنه سينجلى الامر يوما عن مغامرة تأتينى فتكشف لى عن محتد أنبل من هذا المحتد .

كاتو : هذا ما أميل إلى اعتقاده . نعم ، فجميع المظاهر تشير إلى ذلك . ومن جهتى ، فإنى أيضا حين أنظر إلى نفسى . . .

المنظر السادس

ماروت ، كاتو ، مادلون

ماروت : هذا خادم يسأل عما إذا كنتما في البيت ، ويقول إن سيده يريد أن يجيء لرؤيتكما .

مادلون : تعلمى ، أيتها البلهاء ، أن يكون كلامك أقل سوقية من ذلك . قولى : « هذا تابع يسأل عما اذا كنتما في حالة لائقة بالظهور امام الزائرين»

مــاروت : يوه ! أنا لا أعرف اللغة اللاتينية ، ولم أتعلــم الحذلقة مثلكما في كتاب فوريه الكبير .

مادلــون : هذه الوقحة ! هل هذا السلوك مما يمكن تحمله ؟ من هو سيد هذا الخادم ؟

مــاورت : لقد ذكر لى أن اسمه المركيز دى مسكارى .

مادلــون : آه ، يا عزيزتى ، مركيز ! نعم ، اذهــــبي فبلغيه أنه يستطيع مقابلتنا . أغلب الظن أنه واحد من المثقفين ، سمع عنا .

كاتــو : بكل تأكيد ، يا عزيزتى .

مادلــون : يجب استقباله في هذه القاعة السفلى ، فذلك خير من استقباله في غرفتنا . لنصلح من حال شعرنا بعض الشيء ، على الأقل ، ولنحافظ على ما لنا من صيت . عجلى ، تعالى نتمدد داخل القمرة الملحقة بالصالون .

مــاروت : أقسم بديني أنى لا أعرف أى حيوان هذا الذى تذكران اسمه ، ينبغى لكما أن تتكلما لغــــة البشر ، إذا أردتما أن أفهم ما تريدان .

كاتــو : أحضرى لنا المرآة ، أيتها الجاهلة ، وحاذرى أن تدنسى وجهها بإلقــــاء صورتك عليهــا.
(يخرجــن) .

المنظر السابع

مســـكارى ، حمالان

مســـكارى : هو ، هــو ! أيها الحمالان ، هو ، هــو !

أن هذين الصعلوكين لايقصدان إلا تحطيم عظامى من كثرة الاصطدام بالحوائط والأرصفة

الحمال الأول : وما ذنبنا ؟ إن الباب ضيق ! كما أنك أنت الذى أردت منا أن ندخل بك حتى هنا .

مسكارى : بطبيعة الحال . أكنتما تريدان ، أيها الوقحان ، أن أعرض بريق ريشى لأخطار هذا الموسم المطير ، وأن أغوص بحذائى في الطين ؟ هنا اسحبا كرسيكما من هنا .

الحمال الثانى : يدك على الأجرة ، إذن ، من فضلك ، ياسيدى

مسكارى : هيه ،

الحمال الثانى : أقول لك ، يا سيدى ، أن تدفع لنا نقودنا ، من فضلك .

مسكارى : (وهو يناوله صفعة) : كيف يتأتى لك، أيها الأحمق ، أن تطلب نقودا من شخص في منزلتى

الحمال الثانى : أهكذا يكون الدفع للناس الفقراء ؟ وهل تستطيع منزلتك أن تقدم لنا العشاء ؟

مسكارى : آه ! آه ! آه ! سأعرفكما مقامكما . هؤلاء الأوغاد يجرءون على مناورتى .

الحمال الأول : (وقد تناول أحد عصى الكرسى) : هكذا ، عجل بالدفع من فورك .

مسكارى : ماذا ؟

الحمال الأول : قلت لك إنى أريد نقودنا في الحال .

مســـكارى : هذا بالذات رجل معقول .

الحمال الأول : عجـــل !

مســـكارى : نعم ، حالا . أنت تعرف كيف تتكلم كمـــا يجب أن يكون الكلام ، أما الآخر فوغـــد لايعرف معنى ما يقول . خذ ، أهذا يرضيك ؟

الحمال الأول : كلا ، لا يرضينى ، فقد صفعت زميلى و . . . (رافعا عصاه) .

مســـكارى : بالراحة . خذ ، هذا من أجل الصفعة . يستطيع المرء أن يحصل منى على كل ما يريد ، ما دام يتبع الطريقة اللائقة . هيا ، عودا بعد قليل لحملى إلى قصر اللوفر ، لقضاء السهرة مع الملك .

المنظر الثامن

مـــاروت ، مســـكارى

مســـكارى : لا داعى للعجلة ، فأنا معسكر هنا على راحتى في انتظارهما

مـــاروت : ها همـــا .

المنظر التاسع

مادلون ، كاتو ، مسكارى ، المنزور

مســـكارى : (بعد أن قام بالتحية) : لامراء في أن الدهشة ستستولى عليكما ، يا سيدتى ، من جرأتى على هذه الزيارة . ولكن شهرتكما هى التى تجـــر

عليكما هذه المضايقات ، فإن الجدارة تفعل في نفسي فعل السحر القوى الذى يدفعني إلى ملاحقتها في كل مكان .

مادلون : إذا كنت تطارد الجدارة ، فليست هذه هى الأرض التي يجدر بك الصيد عليها .

كاتو : إذا كنت ترى لدينا جدارة ، فلابد أن تكون أنت الذى أحضرتها معك .

مسكارى : أه ! من حقى أن أقاضيكما على هذه الكلمات . فإن الشهرة التي تكشف عن مكانتكما تقوم على أساس من الحق ، ولا شك أنكما ستكتسحان جميع الأوراق الرابحة في ميدان الرقة والغزل في كل باريس .

مادلون : إن مجاملتك تدفع سخاءك إلى المبالغة بعض الشيء في إزجاء مديحك ، ونحن ، ابنة خالى وأنا ، نحرص كل الحرص ألا نلقى باتزاننا في خضم عذوبة ملاطفاتك .

كاتو : يجب الأمر بإعداد مقاعد .

مادلون : هالو ! يا ألمنزور !

المنزور : سيدتى

مادلون : عجل وأحضر لنا هنا معدات الحديث

مسكارى : ولكن قولا لى ، على الأقل ، هل هناك أمان لى في هذا المكان ؟

(المنزور يخرج)

كاتــو : ماذا تخشى ؟

مســكارى : اختطاف قلبي ، اغتيال حريتي . إني أرى هنا عيونا لها سيما قطاع الطرق ، عيونا تعصــف بالحريات وتعامل النفوس معاملة السيد لعبيده . يالشيطان ! أولا وقبل كل شيء، كيف يمكن للمرء أن يقترب منها ، وهى تقف متربصــة تربص القتلة ؟ أه ! والله إني لأرتاب فيهــا ، ولابد أن أفر منها ، وإلا فاني أطلب لنفــسى ضمانا بورجوازيا [1] يضمن لى عدم التعرض لأذاهــا .

مادلــون : انه ، يا عزيزتى ، شخص مرح الطبــاع

كاتــو : أرى جيدا أنه أملكار آخر [2]

مادلــون : لا تخش شيئا : فليس في أعيننا أى مقصد سيِّىء . ويمكن لقلبك أن ينــام في أمان معتمــدا على حكمتهــا .

كاتــو : لكن أرجوك ، يا سيدى ، لاتكن عصبيا أمام هذا الكرسى الذى يمد إليك ذراعيه منذ ربــع ساعة ، حقق له بعض رغبته في أن يحتضنك .

مسكــارى : (بعد أن مشط شعره وعدل شرائط ركبتيه : ليكن ! ماذا تريان في باريس ، ياسيدتى ؟

---

(۱) ضمان من احد البورجوازيين ، وكان البورجوازى هو الشخص الذى يستطيع الدفع .

(۲) شخصية رخيصة مبتسمة من شخصيات القصة المتحذلقة « كليلى » .

مادلـــون : واأسفاه ! ماذا يمكننا أن نقول فيها ؟ إن إنسانا لا يعترف بأن باريس هى مستودع الروائع ومركز الذوق السليم والثقافة والغزل الرقيق لابد أن يكون القطب المضاد لقطب العقل .

مسكـــارى : أما أنا ، فأقرر بأنه لا يوجد خارج باريس أية فرصة للخلاص بالنسبة لسراة الناس .

كـــاتو : هذه حقيقة لا يأتيها الباطل من أى مكان .

مسكـــارى : لاشك أن المرء يتعرض فيها للاقذار [1] بعض الشيء ، ولكن لدينا كرسى الانتقال .

مادلـــون : نعم ، إن الكرسى يعتبر معزلا رائعا ضد شتائم الوحل والجو العكر .

مسكـــاوى : هل تتلقيان كثيرا من الزيارات ؟ من هم المثقفون الذين يزورنكما ؟

مادلـــون : واأسفاه ! إننا لم نصبح بعد من المعروفات ، ولكنا في طريقنا إلى الشهرة ، ولنا صديقة خاصة وعدتنا بأن تحضر لدينا كل أولئك السادة الذين تتكون منهم « مجموعة القطع المختارة » .

كاتـــو : وبعض الآخرين الذين ذكرت لنا هذه الصديقة أيضا انهم يعتبرون القضاة المطلقين في الحكم على الأشياء الجميلـــة .

---

(١) ذلك أن معظم شوارع باريس لم تكن مرصوفة فى هذه الفترة .

مسكـــارى : أنا الذى سأحقق لكما هذه الرغبة أكثر من أى إنسان آخر : إنهم يزوروننى جميعا ، وأستطيع القول بأنى لا أتحرك دون أن يكون معى نصف دستة من المثقفين .

مادلـــون : آه ! يا الهى ! إننا في هذه الحال ، سندين لك بالفضل ، أرفع درجات الفضل إلى آخر يوم من أيامنا ، إذا أسديت إلينا هذا الجميل لأنه لابد للمرء من معرفة كل هؤلاء السادة إذا أراد أن يكون من أفراد المجتمع الراقي . إنهم هم الذين يضعونك على سلم الشهرة في بـــاريس ، وأنت تعرف جيـــدا أن هناك منهم من تكفى مجرد مخالطتهم لإعطائك الشهرة وذيوع الصيت ، هذا إذا لم يكن هناك ما يبحث عنه الإنسان غير ذلك . أما بالنسبة إلى ، فإن ما أقدره بوجه خاص هو أن المرء ، عن طريق هذه الزيارات الثقافية يتعلم مئات الأشياء التى تعتبر معرفتها أمرا ضروريا وتقوم من الثقافة مقام اللب والجوهر . عن طريقها يعرف المرء في كل يوم أخبار المجاملات الدقيقة ، ولطائف المساجلات الشعرية والنثرية : يعرف في الوقت المناسب : أن فلانا كتب ألطف « قطعة » في العالم عن الموضوع الفلانى ، وأن فلانة كتبت كلمات اللحن الفلانى ، وأن هذا ألف مقطوعة عبقرية عن إحدى المتع ، وأن ذاك دبج بضع

رباعيات عن إحدى الخيانات الزوجية ، وأن السيد علان كتب مساء أمس بضعة أبيات ، وانها « هي » أرسلت إليه الرد عليها في الساعة الثامنة تماما من هذا الصباح ، وأن المؤلف الفلانى قد انتهى من وضع مشروع كتاب له ، وأن هذا الكاتب قد وصل إلى الجزء الثالث من قصته ، وأن ذلك الآخر بعث بمؤلفاته إلى المطبعة . هذا هو الذى يجعل لك مكانة في المجالس ، وإذا جهل المرء هذه الأشياء ، فإنى لا أشترى كل ما يمكن أن يكون لديه من معارف بمسمار واحد .

كاتـــو : في الحقيقة ، أنا أعتبر أنـــه من التفانى في المضحكات أن يفاخر الشخص بثقافته إذا لم يكن يعرف حتى أقل رباعية ممّا يقال في كل يوم ، وإنى أنا شخصيا لأشعر بكل ضروب العار تغطينى ، إذا سئلت عما إذا كنت قد رأيت شيئا ما جديدا ، ولم أكن قد رأيته .

مسكـــارى : الحقيقة أنه من المخجل ألا يكون المرء بين أوائل الذين يعرفون كل ما يحدث ، ولكن لا تبتئسا ، فإنى أريد أن أؤسس لديكما هنا أكاديمية من الأدباء والمثقفين ، وأعدكما بأنه لن يظهر طرف من مقطوعة شعرية صغيرة في باريس حتى تعرفاها عن ظهر قلب قبل جميع من عداكما . أما أنا الذى تريانه أمامكما ،

فإني أمارس فرض الشعر حينما أريد .
وستريان أن حوارى باريس الجميلة تتداول من شعرى مائتى أغنية ، ومثلها من المقطوعات الصغيرة المتداخلة القافية ، وأربعمائة مقطوعة غزلية وأكثر من ألف قصيدة في الغزل والمديح دون حساب الأحاجى والصور .

مادلـــون : أنا أعترف لك بأنى من أنصار الصور بشكل فظيع ، ولست أجد ما ما يدانيها في الرقة .

مسكـــارى : الصور فن عسير وتتطلب عمقا في العقل : على كل حال سترين من صنعى عددا منها تعجبك .

كاتـــو : اما أنا ، فإنى أحب الأحاجى بصورة مزعجة .

مسكـــارى : إنها تدريب للعقل ، وقد كتبت منها أربعا هذا الصباح ، سأقدمها لك لتحاولى حلها .

مادلـــون : قصائد الغزل والمديح محببة للنفس ، إذا كانت جيدة الصنع .

مسكـــارى : هذه هى موهبتى الخاصة ، وأنا أعمل الآن على صياغة التاريخ الرومانى بأسره في قصائد غزل ومديح .

مادلـــون : أه ! بكل تأكيد ، سيكون ذلك آخر جمال ، أنا أحتجز منه نسخة على الأقل ، إذا كنت ستطبعه .

مسكـــارى : وأنا أعد كلا منكما بنسخة منه ، ومن أجود النسخ تجليدا . هذا أمر لا يليق بمقامى ، ولكننى

أفعله من أجل مصلحة الوراقين الذين يلاحقوننى

مادلـــون : أنا أتخيل أن المرء يشعر بسرور عظيم حين يرى كتابا مطبوعا له .

مسكـــارى : في أغلب الظن . ولكن ، بهذه المناسبة ، أريد أن أقرأ عليكما ارتجالية كتبتها بالأمس وأنا في زيارة لاحدى الكونتيسات من صديقاتى ، لأنى في مجال الارتجاليات شيطان مارد .

كاتـــو : الارتجالية بالذات هى محك التجربة بالنسبة للعقل .

مسكـــارى : اسمعـا اذن .

مادلـــون : ها نحن أولاء كلنا آذان .

مسكـــارى : أوه ! أوه ! لم أكن منه على حذر :
بينما كنت أنظر إليك دون تفكير في الخطر ،
كانت عينك تقوم بجلسة باختطاف قلبى .
الحقوا باللص ! الحقوا باللص ! الحقو باللص !
الحقوا باللص !

كاتـــو : آه ! يا إلهى ! هذا هو الغوص في أعمق أغوار المجاملة الرقيقة .

مسكـــارى : كل ما أعمله يتسم بالصراحة الطبيعية ، لا شيء فيه من الادعاء .

مادلـــون : إن بينه وبين الادعاء من بعد الشقة أكثر من ألفى فرسخ .

مسكــارى : هل لا حظتما هذه البداية ؟ أوه ! أوه ! هذا ما يعلو على كل ما هو معتاد :
أوه ! أوه ! كرجل تنبه فجأة : أوه ! أوه ! أوه ! المفاجأة : أوه ! أوه ! .

مادلــون : نعم ، أجد أن هذه الا أوه ! أوه ! رائعة .

مسكــارى : يبــدو أنها تافهة .

كاتــو : آه ! يا إلهى ! ماذا تقول ؟ بل من هذه الأنواع من الأشياء التى لاتقدر بثمن .

مادلــون : هذا حق ، وأنا شخصيا أفضل أن أصنع هذه الأوه ! أوه ! على أن أكتب قصيدة ملحمية .

مسكــاوى : ياللشيطــان ! ما أرق ذوقك ؟

مادلــون : إه ! أنا ، على كل حــال ، لست من ذوات الذوق السيء .

مسكــاوى : ولكن ألا تعجبين أيضا بعبارة لم أكن منه على حذر ؟ لم أكن منه على حذر ، لم أكن من ذلك على بينة ، صورة للكلام الطبيعى : لم أكن منه على حذر . بينما كنت أنظر إليك دون تفكير في الخطر ، بينما كنت أنظر ببراءة دون خبث ، كحيمل مسكين ، انظر إليك ، أى أتســلى بتأملك ، ألاحظك ، أتفحص ملامحك . . . .
وماذا ترين في هذه الكلمة « خلسة » ألبســت حسنة الاختيار ؟

كاتــو : تمامــاً .

مسكـــارى : خلسة ، في الخفاء ، يبدو كما لو كان الأمـــر يتعلق بقط أنقض على فأر « خلسة » !

مادلـــون : لا يمكن أن يكون هناك خير من ذلك .

مسكـــارى : « تختطف قلبي ، تنتزعه مني ، تقتنصه مـــني . الحقوا باللص ! الحقوا باللص ! الحقوا باللص ! ألا تتصوران أن هناك رجلا يصيح ويعـــدو خلف لص يريد الإمساك به ؟ .

مادلـــون : يجب الاعتراف بأن هذا تعبير كله ذوق ورقة .

مسكـــارى : أريد أن أسمعكما اللحن الذى عملته على هذه الأبيات .

كاتـــو : هل تعلمت الموسيقى ؟

مسكـــاوى : أنا ؟ مطلقا .

كاتـــو : كيف يتأتي ذلك ؟

مسكـــاوى : الناس ذوو المحتد النبيل يعرفون كل شيء دون أن يكونوا قد تعلموا أى شيء .

مادلـــون : بكل تأكيد ياعزيزتي .

مسكاري : انظرا لترىا ما إذا كان اللحن على ذوقكما . هوم هوم ، لا ، لا ، لا ، لا . إن قسوة الجو في هذا الموسم قد صبت جام غضبها على رقـــة صوتي ، لكن لا بأس ، فليس بيننا تكليف .

(يغنى) :

أوه ! أوه ! لم أكن منه على . . .

كاتـــو : أه ! هذا لحن موثر . الا يمكن أن يموت منـــه السامع ؟

مادلـــون : انه يقوم على سلم أنصاف النغمات .

مسكـــاوى : ألا تريان أن الغناء هنا يعبر جيدا عن الفكـــرة ؟ الحقوا باللص ! . . . ثم كما لو كان المرء ينادى فيه بأعلى صوته ، الحقوا ، الحقوا ، الحقوا ، الحقوا ، الحقوا ، الحقوا باللص ! وفجأة كما لو كان الأمر يتعلق بشخص مبهور الأنفاس : الحقوا باللص !

مادلـــون : هنا ينتهى المرء إلى معرفة الرقيق من الاشياء ، الرقيق الأسمى ، رقيق الرقيق . كل ما فيهـــا رائع ، وأنا أؤكد لك ذلك ؟ اني مبهورة باللحن وبالكلمات .

كاتـــو : لم يسبق لى قط أن رأيت شيئا بهذه القوة .

مسكـــاوى : كل مـــا أعمله ينساب من قريحتى بصـــورة طبيعية : دون أى دراسة .

مادلـــون : لقد عاملتك الطبيعة معاملة الأم الرؤوم الحق ، ونظرت إليك نظرتها إلى طفلها المدلل .

مسكـــاوى : فيم تقضيان أوقاتكما ، ياسيدتي ؟

كاتـــو : في لاشيء مطلقا .

مادلـــون : لقد كنا حتى الآن في حالة صوم موحش عن كل ضروب التسلية .

مسكـــاوى : أتقدم إليكما في أن اصطحبكما إلى المـــسرح

يوما من هذه الأيام ، إذا أردتما ، حيث ستعرض هناك مسرحية جديدة يسرنى كل السرور أن نراها معاً .

مادلـــون : لا يسعنا أن نرفض هذا العرض .

مســـكارى : ولكنى أطلب إليكما التصفيق ، ونحن هناك ، كما ينبغى ، لأنى قد تعهدت بأن أرفع من شأن هذه المسرحية ، وقد جاءنى المؤلف هذا الصباح ليرجونى في هذا الامر مرة أخرى . اذ من المعتاد هنا أن يقبل المؤلفون علينا ، نحـــن النبلاء ، ويقرأوا علينا مسرحياتهم الجديدة ، ليحملونا على أن نجدها جيدة ، وأن نمنحهم الشهرة ، وأنا أترك لكما أن تقدرا ما إذا كان رواد الصالـــة يجرءون على معارضتنا إذا قررنا شيئا بالنســـبة لهذه المسرحية أو تلك . وأنا من جهتى ، مـــن أشد الناس حرصا على الوفـــاء بالعهد ، فإذا ماوعدت شاعرا ما ، لم أكف عن الصيـــــاح قائلا : « هذا هو الجمال ! » حتى من قبل أن توقد الشمـــوع .

مادلـــون : لا تكلمنى عنها ، عن باريس ، ذلك المـــكان الرائع ، ففيها تحدث في كل يوم مئات الأشياء التى يجهلها سكان الأقاليم ، مهما كانت درجة ثقافتهم .

كاتـــو : هذا يكفى ، مادمنا قد تعلمنا ، فإننا سنـــؤدى واجبنا ، ونصيح بأعلى أصواتنا ، كما ينبغى ،

لدى كل كلمة تقـــال :

مســـكارى : لا أدرى ما اذا كنت مخطئا في فراستى ، ولكنى أرى فيكما سحنة من قمن بممارسة التمثيل .

مادلـــون : أجل ! قد يتحقق شيء مما تقول .

مسنـــكارى : أه ! في الحقيقة لابد مـــن أن نراهـــا . بينى وبينكما ، لقد كتبت مسرحية وأريد أنأقدمها للعرض .

كاتـــوا : هه ! ستعهد بتمثيلها إلى مَن من الممثلين ؟

مسبـــكارى : هذا سؤال رائـــع ! إلى ممثلى قصر البوريون . ليس هناك غيرهم من يستطيعون أن يظهـــروا قيمة الأشياء . أما الآخرون ، فجهلة يلقون كما لوكانوا يتكلمون ، لا يعرفون كيف يخرجون الشعر ويقفون على المواضع الجميلة ، ثمالوسيلة إلى معرفة أين يوجد البيت الجميل ، ومـــا إذا كان الممثل لا يتوقف عنده ، ويلفت نظرنا إلى حيث تكون صبحات الاستحسان ؟

كاتـــو : الحقيقة أن هناك طريقة لجعل المستمعين يحسون ضروب الجمـــال في عمل ما ، إن الأشـــياء لاقيمة لها إلا بما تظهره فيها من قيمة .

مســـكارى : ماذا تريان في كلفة بذلتى ؟ أتجدان أنها متناسقة مع البذلة ؟

كاتـــو : كل التناســـق .

مســـكارى : اختيار الشريط اختيار ناجح .

مادلون : ناجح بصورة فظيعة . إنه من الزغب الخالص .

مسكارى : ماذا تقولان في شرائط الركبة ؟

مادلون : إنها لطيفة المنظر تماما .

مسكارى : على الأقل أستطيع أن أفخر بأن عرضها يزيد ثلاثين سنتيمترا عن جميع ما استطاع الناس عمله .

مادلون : يجب أن أعترف بأنى لم أر الأناقة والإحكام تصلان قط إلى هذه الدرجة من السمو .

مسكارى : ركزى حاسة شمك قليلا على هذين القفازين .

مادلون : إنهما زكيا الرائحة بصورة بشعة .

كاتو : أنا لم أنشق رائحة أحسن تأليفا من هذه الرائحة .

مسكارى : وهذه ؟ (يقدم لها شعر باروكته المرشوش بالمسحوق الأبيض لتشمه)

مادلون : إنها من أجود الأصناف . لقد وصلت إلى قمة القمم بألذ صورة .

مسكارى : لم تقولا لى شيئا عن ريشى : ما رأيكما فيه ؟

كاتو : جميل بشكل مخيف .

مسكارى : أتعرفان أن الريشة الواحدة تكلفنى جنيها ذهبيا ؟ فان لدىّ هذه الخصلة ، وهى أنى لا أدخر مالا في سبيل الحصول على أجمل الأشياء .

مادلون : أؤكد لك أننا متجاوبان ، أنت وأنا ، فانى في غاية التوفيق بالنسبة لكل ما ألبس حتى جواربى

الداخلية ، ولا أستطيع احتمال شيء ليس من أجود الأصناف .

مسكـــارى : آهى ! آهى ! آهى ! برفق . لعنى الله ! أنتما تسرفان في استخدام سلطانكما ، إنى أشكو من طريقتكما ، ليس هذا من الأمانة في شيء .

كاتـــو : ماذا حدث ؟ ماذا حل بك ؟

مسكـــارى : ماذا ؟ أنتما الاثنتان ضد قلبي في آن واحـــد ؟ تهاجمانى من ذات اليمين وذات الشمال ! أه ! هذا ضد القانون الدولى : صراع غير متكافئ الأطراف ، ولذا سأصيح بأعلى صوتى قائلا : امنعوا الاغتيال !

كاتـــو : لابد من الاعتراف بأنه يقول الأشياء بطريقة خاصة .

مادلـــون : ويستحوذ على نوع رائع من المهارة العقلية .

كاتـــو : إن لديك من الخوف أكثر مما لديك من الألم ، وقلبك يصيح قبل أن يتناوله الإنسان بالسلخ .

مسكـــارى : كيف ذلك ؟ ياللشيطان ! لقد تم سلخه مـــن الرأس حتى أخمص القدم .

المنظر العاشر

ماروت ، مسكارى ، كاتـــو ، مادلون

مـــاروت : سيدتى ، هناك من يطلب مقابلتك .

مادلـــون : مـــن ؟

مـــاروت : الفيكونت دى جودليه .

مسكـــارى : الفيكونت دى جودليه ؟

مـــاروت : نعم ، ياسيدى .

كاتـــو : أتعـــرفه ؟

مسكـــارى : إنه أعز أصدقائى .

مادلـــون : أدخليه بسرعة .

مسكـــارى : لم نر بعضنا بعضا منذ حين ، ولذلك أشعـــر بالانشراح لهذه المصادفة .

كاتـــو : ها هو ذا .

المنظر الحادى عشر

جودليه ، مسكارى ، كاتو ، مادلون ، ماروت ، المنزور

مسكـــارى : أه ! أيها الفيكونت !

جودليـــه : (يتعانقان) آه ! أيها المركيز !

مسكـــارى : كم أنا سعيد بلقائك !

جودليـــه : ما أشد سرورى برؤيتك هنا !

مسكـــارى : زدنى من قبلاتك ، أرجوك !

مادلـــون : (لكاتو) ياعزيزتى الطيبة ، لقد بدأنا نعرف : ها هوالمجتمع الراقي يأخذ طريقه الينا لرؤيتنا .

مسكـــارى : سيدتىّ ، اسمحالى بأن أقدم إليكما هذا النبيل ، أقسم لكما بشرفي أنه جدير بأن تعرفاه .

جودليـــه : من العدل أن يأتى المرء إليكما ليرد لكما بعض

حقكما ، فإن من شأن سحر كما أن يتطلب لكما حقوق السيادة على جميع أصناف البشر .

مادلــون : إنك تغالى في المجاملة حتى تقترب بها من حدود الملــق

كاتــو : هذا اليوم يجب أن يسجل في مذكراتنا على أنه يوم حافل بالسعادة .

مادلــون : (لألمنزور) هيا ، أيها الغلام الصغير ، أينبغى أن نكرر لك الأشياء نفسها دائما ؟ ألا ترى أننا في حاجة إلى كرسى آخــر ؟

مســكارى : لاتدهشا حين تريان الفيكونت بهذه الهيئة : إنه قد خرج لتوه مــن مرض أصاب وجهــه بالشحوب الذى تريانه .

جودليــه : إن هذا من ثمــار السهر في القصر والتعــب في الحرب .

مســكارى : ألا تعرفان ، ياسيدتىّ ، أنكما تريان في شخص الفيكونت واحداً من أشجع رجال هذا العصر؟ ان شجاعته مما يضرب بها الامثال .

جودليــه : وأنت لا تقل عنى في هذا المجال بأية حــال ، أيها المركيز ، وكلنا نعرف ما يمكنك ، أنت أيضا ، أن تقوم بفعله .

مســكارى : نعم ، لقد رأى كل منا صاحبه في ميدان الوغى.

جودليــه : وفي أماكن تبلغ فيها الحرارة أقصى مداها .

مســكارى : (ناظرا الى كاتو ومادلون) نعم ، ولكنهــا

لا تبلغ المدى الذى تصل إليه هنا هى ! هى ! هى !

جودليه : عرفنا بعضنا في الجيش ، وفي أول مرة تلاقينا ، كان يقود كتيبة من الفرسان على شواطئ ملطة.

مسكارى : هذا صحيح ، ومع ذلك فانك انت كنت في الخدمة قبل أن أكون أنا فيها ، وأتذكر انى كنت لا أزال ضابطا صغيرا حين كنت أنت تقود ألفى حصان .

جودليه : الحرب شىء جميل ، ولكن الحقيقة أن القصر يكافئ الناس الذين هم في خدمته مثلنا أسوأ مكافأة.

مسكارى : وهذا ما يجعلنى أود شنق سيفى في الصخر .

كاتو : أما أنا فإنى أشعر بحنان فظيع نحو رجال السيف .

مادلون : وأنا أيضا أحبهم ، ولكنى أحب أن تتبل الشجاعة بالعقل .

مسكارى : أتتذكر ، أيها الفيكونت ، ذلك النصف من القمر [1] الذى ألقيناه على الأعداء في حصار آراس ؟

جودليه : ماذا تريد أن تقول بنصف قمرك هذا ؟ لقد كان قمرا كاملا .

مسكارى : أعتقد أنك على حق .

جودليه : الواقع أنى أحتفظ من ذلك بذكرى . جرحت

(١) بناء تحصينى أمامى على شكل الهلال يقوم أمام احدى حوائط حصن ما .

خلال هذه المعركة في ساقي من ضربة قنبلة يدوية لا تزال آثارها ظاهرة في جسمي . تحسسي ، أرجوك ، وستحسين مدى الضربة : كانت هنا .

كاتو : (بعد أن لمست الموضع) : صحيح أن الندبة كبيرة .

مسكاري : أعطيني يدك لحظة ، وتحسسي هذا الموضع ، هنا ، بالضبط من خلف الرأس ، أتحسين شيئا؟

مادلون : نعم ، أحس شيئا ما .

مسكاري : إنها ضربة بندقية أصابتني خلال آخر حملة قمت بها .

جودليه : (كاشفا عن صدره) : وهذه ضربة نفذت من صدري إلى ظهري أثناء الهجوم على كرافلين .

مسكاري : (وهو يضع يده على زر بنطلونه) : سأريكم جرحا رهيبا .

مادلون : ليس من الضروري ، إننا نصدقك دون حاجة إلى نظر .

مسكاري : إنها علامات شرف تبين لكما من تكون .

كاتو : إننا لانشك مطلقا فيمن تكونان .

مسكاري : أيها الفيكونت ، هل معك عربتك ؟

جودليه : لماذا ؟

مسكاري : كنا نصحب هاتين السيدتين للنزهة خارج

المدينة ، ونقدم لهما هدية .

مادلــون : لا نستطيع الخروج اليوم .

مسكـــارى : لندع ، إذن ، عازفي الكمان لكى نرقص .

جودليـــه : حسن جداً ، فكرة جيدة .

مادلــون : هذا نوافق عليه ، ولكن لابد ، إذن ، من أن نزيد من عدد الصحبة .

مسكـــارى : هيا ! الينا بالشمبانيا ونبيذ البورجونى والبيكاردى والكسكاريه والباسك والفردور واللــورين والبروفنسال والفيوليت ! لعنة الله على جميع الخدم ! أعتقد انى أسوأ النبلاء في فرنسا مـــن حيث الخدمـــة . هؤلاء الصعاليك يتركوننى وحدى دائما .

مادلــون : ألمزور ! قل لخدم السيد المركيز أن يذهبـــوا لاستحضار عازفي الكمان ، وأحضر هؤلاء السادة والسيدات المحيطين بنا ، كى يملئـــوا فراغ حفلتنا الراقصة . (المنذور يخرج).

مسكـــارى : ماذا ترى في هذه العيون ، أيها الفيكونت ؟

جودليـــه : ولكن قل لى أنت ، أيها المركيز ، كيف تبدو لك ؟

مسكـــارى : أقول إنه سيشق على حرياتنا أن تخرج منهمـــا سليمة الملبس . على الأقل من جهتى أنـــا ، أرانى أتلقى هزات غريبة ، وأصبح قلـــبي لا يتعلق إلا بخيط رفيع جداً .

مادلـــون : كل ما يقوله طبيعى جداً . وهو يصوغ الأشياء بأحب طريقة في العالم .

كاتـــو : من المسلم به أنه يغدق كثيرا في البذل العقلى .

مسكـــارى : لأبرهن لكما عـــلى صدق نيتى ، سأؤلـــف ارتجالية في هذا المعنى .

(يفكر)

كاتـــو : رائع ! استحلفك بكل ما يكنه قلبى من اخلاص وتفان أن تسمعنا شيئاً يكون قد عمل من أجلنا خاصة .

جودليـــه : كان يسعدنى أن أقول ، أنا الآخر ، شيئا مثل ذلك ، ولكنى أجدنى فقيرا في الالهام الشعرى بعض الشيء من جراء ضخامة الكمية الـــتى حملته على نزفها خلال هذه الأيام الأخيرة .

مسكـــارى : ياللشيطان ! ما هذا الذى يعتريني ؟ من المعتاد دائما أن أجيد صناعة البيت الأول ، ولكـــنى أجد بعض المشقة في صنع الأبيات التالية . لا بأس ! إننا نسرف في التعجل . سأمنح نفسى الوقت الكافي لأصنع لكما ارتجالية سترىـــان انها أجمل ما في العالم .

جودليـــه : إن له من العقل ما لا يقل عن عقل شيطان .

مادلـــون : ومن الرقة ، ومن حسن الصياغة .

مسكـــارى : قل لى ، يافيكونت ، منذ كم من الزمن لم تر الكونتيسة ؟

جودليـــه : لم أقم بزيارتها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع .

مسكــارى : أتدرى أن الدوق جاء لزيارتى هذا الصباح ، وأراد أن يصحبنى معـــه لصيد الوعول فـــى الريف ؟

مادلـــون : ها هن صديقاتنا قد أقبلن .

المنظر الثاني عشر

جودليه ، مسكارى ، كاتو ، مادلون ، ماروت

لوسيل ، سيليمين ، المزور ، عازفو الكمان

مادلـــون : يا إلهى ! أطلب إليكن المعذرة ، ياعزيـــزاتى. لقد طـــاب لهذين السيدين أن يبعثا الروح في أقدامنا ، وقد أرسلنا في طلبكن لتعمرن فراغ حفلتنـــا .

لوسيـــل : إنكم تطوقون أعناقنا بالجميل .

مسكـــارى : هذه حفلة عملناها على عجل ، ولكنا سنقيم لكن في يوم من هذه الأيام حفلة مستوفية مـــراسم الحفلات . هل جاء عازفو الكمان ؟

المـــزور : نعم ، ياسيدى ، إنهم هنا .

كاتـــو : هيا ، إذن ، ياعزيزاتى ، خذو أماكنكن .

مسكـــارى : (يرقص وحده فيما يشبه أن يكون تمهيدا) : لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، .

مادلـــون : إنه ممشوق القوام تماما .

كاتـــو : وعليه سيما من يجيد الرقص بكل أناقة .

مسكـــارى : (وقد أخذ مادلون للرقص) :
سترقص حريتى رقصة العدْو كما سترقصهـــا قدماى أيضا . على الواحدة ياعازفون ، على الواحدة ! أه ! ما أجهلهم ! لا سبيل إلى الرقص معهم . عليكم اللعنة ! ألا تستطيعون ضبـــط الإيقاع ؟ لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا . الثبات ، ياعازفي القربة !

جودليـــه : (وقد أخذ في الرقص هو الآخر) :
هو لا ! لا تسرعوا هكذا بالإيقاع : فإنى خارج توا من المرض .

المنظر الثالث عشر

دى كروازى ، لاجرانج ، مسكارى ، جودليه

كاتو ، مادلون ، لوسيل ، سيليمين ، ماروت ، العازفون

لاجـــرانج : (في يده عصا) أه ! أه ! أيها الخبيثان ، ماذا تفعلان هنا ؟ ونحن نبحث عنكما منـــذ ثلاث ساعات .

مسكـــارى : (وهو يحس وقع الضربات) آهى ! آهى ! آهى إنلك لم تقل إن هناك أيضا ضربات .

جودليـــه : آهى ! آهى ! آهى !

لاجـــرانج : هذا دأبك ، أيها النكرة . تريد أن تظهر بمظهر الرجل المهم .

دى كروازى : من ذلك ستتعلم كيف تعرف مقامك .
(يخرجان) .

المنظر الرابع عشر

مسكارى ، جودليه ، كاتو ، مادلون ، لوسيل
سيليمين ، ماروت ، العازفون .

مادلـــون : ما معـــنى هـــذا ؟

جودليـــه : هـــذا رهـــان .

كاتـــو : ماذا ! تستسلم للضرب بهذا الشكل ؟

مسكـــارى : والله ، أنا لم أرد أن يظهر على أى تأثر ، لأنى عنيف ، وربما كنت قد ثرت .

مادلـــون : وتتحمل مثل هذه الإهانة في حضورنا ؟

مسكـــاوى : شئ لا أهمية له ، لنكمل ما كنا فيه . الحقيقة أننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل ، وما حدث كان بين أصدقاء ؛ فلا لزوم إذن للغضب من شئ تافه كهذا .

المنظر الخامس عشر

دى كروازى ، لاجرانج ، مسكارى ، جودليه
مادلون ، كاتو ، لوسيل ، سيليمين ، ماروت ،
العازفون

لاجرانـــج : نعم أيها الصعلوكان ! لن أمكنكما من السخرية بنا ، هـــذا ما أعدكم به . ادخلوا ، انتم

الآخرون ، (يدخل ثلاثة أو أربعة من المجرمين المحترفين) .

مادلون : ما هذه الجرأة التى تحملك على المجىء إلينا وتعكير صفوفا في بيتنا ؟ .

دى كروازى : كيف تريدان منا ، ياسيدتىَّ ، أن نتحمل استقبال خادمينا خيرا من استقبالنا ؟ وأن يأتيا لمنازلتكما على حسابنا ، ، وأن يراقصاكما ؟

مادلون : خادماكما ؟

لاجرانج : نعم ، خادمانا . وليس هناك شىء من اللباقة ولا الأمانة في أن تفسداهما علينا ، كما تفعلان .

مادلون : يا الهى ! ياللهوان !

لاجرانج : ولكنهما لن يستمرا في الاستمتاع بملابسنا من أجل أن يبهراكما وإذا أردتما أن تخصاهما بحبكما ، فليكن ذلك من أجل جمال أعينهما ، عجلوا بانتزاع ملابسهم فورا .

جودابيه : وداعا ياملابسنا الجميلة .

مسكاوى : هاهو مقام المركيزية والفيكونتية يمرغ في التراب .

دى كروازى : آه ! آه ! أيها الصعلوكان ، اتجرؤان على انتحال شخصيتنا ؟ ستذهبان للبحث في مكان آخر عما يزينكما في انظار حبيبتكما هاتين ، هذا ما أؤكده لكما .

لاجـــرانج : هذا إسراف ما بعده إسراف ، أن تنتحلا شخصيتينا ، وأن تفعلا ذلك بملابسنا نحن .

مسكـــارى : أيها الحظ ، ما أكثر تقلباتك !

دى كروازى : سارعوا بنزع ملابسهما حتى آخرها .

لاجـــرانج : خذوا كل هذه الملابس ، وبسرعة . والآن تستطيعان ، ياسيدتى أن تستمرا في مغازلتهما كما يطيب لكما ، ماداما قد أصبحا في الحالة التى هما فيها : ونترك لكما ، من أجل هذا الغرض ، كل أنواع الحرية ، ونؤكد لكما ، هذا السيد وأنا ، بأن ذلك لن يثير فينا أى غيرة.
(دى كروازى ولاجرانج ولوسيل وسيليمين وماروت يخرجون) .

كاتـــو : أه ! ياللعـــار !

العازفـــون : (للمركيز) ما هذا ؟ من سيدفع لنا أجرنا ، نحن الآخرين ؟

مسكـــارى : أسألوا السيد الفيكونت .

العازفـــون : (للفيكونت) من الذى سيعطينا النقود ؟

مســـكارى : أسألوا السيد المركـــيز .

المنظر السادس عشر

جوجيبوس ، مسكارى ، جودليه ، مادلون ، كاتو ، عازفو الكمان

جورجيبـــوس : أه ! أيتها الشقيتان ، لقد وضعتمانا في موقف

مرموق ، على ما يبدو لى ،والحقيقة أنه قد بلغنى أشياء سارة من هؤلاء السادة والسيدات الذين انصرفوا من هنا .

مادلون : آه ! ياوالدى ، إنها مسرحية دامية تلك التى لعباها علينا .

جورجيبوس : نعم،مسرحية دامية، ولكنها نتيجة لوقاحتكما، أيتها التافهتان! لقد تأثرا من المعاملة التى لقياها منكما. ومع ذلك فعلىّ أنا ، أيها التعس ، أن اتجرع الإهانه .

مادلون : آه ! أقسم لك أنه لابد من الثأر لنا، وإلامت كمدا وأنتما ، أيها الصعلوكان، اتجرؤ ان على البقاء هنا ، بعد ماكان من وقاحتكما ؟

مسكارى : أهكذا يعامل مركيز؟هذه هى حال العالم : أقل بلية تحل بنا تجعلنا موضع احتقار من جانب أولئك الذين كانوا يخصوننا برعايتهم .هيا ، يازميلى ، انبحث عن حظنا في مكان آخر ، لأنى أرى أن الناس هنا لايحبون إلا المظهر الكاذب ، وأنهم لا أعتبار عندهم للفضيلة العارية .

(يخرجان كلاهما)

المنظر السابع عشر

جورجيبوس ، مادلـــون ، كاتو ، عازفوالكمان

عازفو الكمان : سيدى ، نحن نطالبك بأن تقوم مقام الآخريـــن في إرضائنا من أجل العزف الذى عرفناه هنا .

جورجيبـــوس : (منها لاعليهم بالضرب) : نعم ، نعـــم ، سأرضيكم ، هذا هو نوع النقود التى أدفـــع لكم منها . وأنتما ، أيتها التافهتان ، لا أدرى ماذا يمنعنى من أن أفعل بكما نفس الشيء . إننا منذ الآن سنعتبر أسطورة أمام العالم كلـــه وأضحوكة له ، وهذا هو ما جلبتماه عـــلى نفسيكما من جراء حمقكما . هيا ، اختبئا من الناس ، أيتها الصعلوكتان ، اختبئا من الناس إلى الأبد . (لنفسه) وأنت يامن كنت السبب في جنونهما ، أنت أيتها الكلمات الجوفـــاء ، ياتسليات العقول الفارغة المأفونة ، أنت أيتها الروايات والأشـــعار والمقطوعات الغزليـــة ، اذهبن جميعا إلى قرار الجحـــيم !

* * *

مدرسة الأزواج

كوميديا
في ثلاثة فصول

تأليف : ج . ب . پ . موليير
ترجمة : د . محمد م . القصاص

مثلت للمرة الأولى في باريس على مسرح الباليه رويال
في ٢٤ يونية سنة ١٦٦١
وقام بتمثيلها
فرقة "السيد" الأخ الوحيد للملك

العنوان الاصلي للمسرحية

Molière

L' E'COLE DES MARIS

COMÉDIE

اهداء

الى مولاى دوق أورليان
الأخ الوحيد للملك

مـــولاى ،

أرانى هنا اطلع فرنسا على أشياء غير متناسبة . فلا شيء هناك أعظم ولا أفخم من الاسم الذى أضعه على راس هذا الكتاب، ولا شيء احقر مما يحتويه .وسيرى الناس جميعا أن هذا حشد غريب ، ولعل البعض منهم يقولون للتعبير عن ذلك التفاوت أن الأمر يشبه وضع تاج من اللؤلؤ والماس على رأس تمثال من الطين ، أو اقامة مدخل من العمد الرائعة واقواس النصر لكوخ حقير . ولكن يشفع لى فيما فعلت ، يامولاى ، أنى فى هذه المخاطرة لم يكن لدى أى خيار ، وأن شرف تبعيتى لسموكم الملكى فرض على تلك الضرورة الصارمة : وهى أن اقدم اليه أول عمل كتبته أنا نفسى . وهذه ليست هدية اقدمها اليكم ، بل واجب أؤديه ، والهدية لا ينظر اليها أبدا باعتبار الأشياء التى تحتوى عليها ، لذلك جرؤت . ياmولاى ، على أن اقدم لسموكم الملكى احدى التفاهات ، لأنى لم أجد سبيلا لاعفاء نفسى من ذلك . واذا كنت أعفى نفسى من الافاضة فى الحقائق الجميلة المجيدة التى يمكن أن تقال عنه ، فذلك بسبب خوفى الحق من أن تزيد تلك الأفكار الجليلة من ظهور حقارة قربانى . فالزمت نفسى الصمت الى أن أجد مكانا أنسب من ذلك أعرض فيه تلك الأشياء . وكل ما أردته فى تلك الرسالة أن أبرز عملى امام فرنســا باسرها وليكون لى المجد فى أن أقول لكم ، يامولاى ، بكل خضوع ممكن انى ،

خادم سموكم
المتواضع جدا ، المطيع جدا
المخلص جدا
ج.ب.ب.موليير

شخصيات المسرحية

سجاناريل ارســت	اخــوان	Sganarelle Ariste
ايزابــلا لــيونــور	اختــان	Isabelle Léonar
لــــيزت	وصيفة ليونــور	Lisette
فالــير	حبيب ايزابــلا	Valere
ارجاســت	تابع فالــير	Irgaste
مامور الشرطــة		Le Commissaire
موثق العقــود		Le Notaire

المنظر فى باريــس

الفصل الأول

المنظر الاول

سجاناريل ، أرست

سجاناريل : من فضلك يا أخى ، لسنا في حاجة الى كل هذه الخطب ، وليعش كل منا كما يحلو له . فبالرغم من أنك تكبرنى بسنوات وهذه ميزة لك ، وأنك بلغت من العمر ما يجب أن يضمن لك سبيل الحكمة ، فدعنى مع ذلك أوكد لك أنه ليس في عزمى أن أعبأ بملامك ، وان خط سلوكى لن يحيد عما يمليه علىّ مزاجى ، وأنى لأشعر بتمام الرضى عن طريقتى في الحياة .

أرست : ولكن الجميع يستهجنونها .

سجاناريل : نعم ، مجانين مثلك ، يا أخى .

أرست : شكرا جزيلا ، التحية عذبة .

سجاناريل : أود أن أعرف ، مادام يتحتم علىّ أن أسمع كل شيء ، ماذا يريد هؤلاء الرقباء الجملاء أن ينتزعوه منى .

أرست : هذا الطبع الشرس الذى تجافي ضراوته كل ما ينطوى عليه المجتمع من عذوبة ، الذى يصبغ كل تصرفاتك بصبغة غريبة ، ويطبع كل مالديك ، حتى ملابسك ، بطابع البربرية .

سجاناريل : الحقيقه أن الذى يلزمنى في عرفكم هو أن أخضع لزى العصر ، وألا يكون لبسى من أجـــل نفسى . ألا يمكن أن تريد بخطبك الطنانـــة ، ياسيدى الأخ الأكبر ، « لأنك إذا أردت ألا أكتمك شيئا ، تكبرنى بعشرين عاما والحمـــد لله ، وإن كان الكلام في هذا الموضوع لايستحق عناءه » ، أقول ألا يمكن أن يكون قصدك أن توحى إلى في هذا الصدد ، باتخاذ أساليب شبانك المعطرين ؟ أن تجبرنى على لبس هذه القبعـــات الصغيره التى تسمح لامخاخهم الذابله بالتهوية ، وهذا الشعر الأشقر الذى تخفى خصلاته المنبعجة معالم الوجوه البشرية ؟ وهذه الجاكتات القصيرة الضيقة ذات الآباط اللاصقة ، وتلك الياقـــات الضخمة المدلاة حتى السرة ؟ وتلك الأكمام التى نراها تداعب أطباق الحساء فوق المائدة ، وهذه السراويل المسماة فوق الركبة ؟ وهذه الأحذية الظريفة المحلاة بالأشرطة التى تجعلكم تشبهون الحمائم ذات السيقان المنقوشة ؟ وتلك الياقـــات الضخمة من الخرق والأشرطة التى يعلقهـــا السادة الظرفاء في كل صباح كالقيود عـــلى سيقان مستعبدة ونراهم يسيرون بها متفرشحين كمراوح الريش ؟ لاشك أنى سأروقك وأنـــا مزود بكل هذا العتاد ، لاسيما وأنى أراك أنت أيضا تحمل تلك الحماقات فوق جسمك .

أرست : ينبغي للمرء دائما أن يساير غالبية الناس وألا يترك لهم فرصة النظر إليه باستغراب . فالتطرف في أى من الناحيتين من شأنه أن يصدم الابصار ، وعلى كل شخص عاقل أن يتبع في ملابسه وفي لغته ما يتطلبه تطور الاستعمال من تغيير ، ولكن دون تكلف أو مبالغة ، وليس من رأيي أن يعتنق الواحد أسلوب أولئك الذين نراهم دائما يتنافسون في الجرى وراء زى العصر ، ويتملكهم الغضب ، وهم في خضم ذلك التطرف الذى يعشقونه ، حين يرون غيرهم قد سبقهم في هذا المضمار ، ولكنى أقرر أنه من الخطأ في كل المجالات ، أن يعمد المرء في إصرار إلى مخالفة ما تسير عليه جمهرة الناس ، وأنه من الأحسن له أن يتحمل كونه واحدا من زمرة المجانين على أن يكون وحده ضد الجميع في حزب العقلاء .

سجاناريل : هذا ما تفوح منه رائحة العجوز الذى يعمل ، من أجل خداع الناس ، على إخفاء شعره الأبيض تحت باروكة سوداء .

أرست : إنه لشيء غريب ذلك الحرص الشديد من جانبك على معايرتى دائما بكبر سنى ، وذلك الإصرار على ألا تكف عن استهجان ما قد يكون لدىّ من حسن الهندام ودواعي المرح ، كما لو كانت الشيخوخة ، وقد حكم عليها بألا تتعلق بشيء ،

لا ينبغى لها أن تفكر في غير الموت ، وكأنها لا تنطوى في حد ذاتها على قدر كاف من القبح دون حاجة إلى استمساك صاحبها بالقذارة والكآبة .

سجاناريل : مهما يكن من شيء فانى مصر كل الإصرار على عدم التخلص من أسلوبى في اللبس . أوذ رغم الجميع أن تكون لى قلنسوة يجد رأسى بأسره تحتها وقاء مناسبا وجاكته جميلة طويلة بدرجة كافية محكمة الإغلاق تدفيء معدتى لكى تقوم بعملية الهضم على مايرام ، وسراويل مضبوطة على فخذى ، وأحذية لا تكون أداة عذاب لقدمى كتلك التى كانت حكمة أجدادنا تقضى باستعمالها : ومن لا يروقه منظرى فليغمض عينيه .

المنظر الثاني

ليونور ، ايزابلا ، ليزت ، ارست ، سجاناريل

ليونور : (لإيزابيلا) دعى كل شيء على ، حاله ما إذا وجه اليك ملام .

ليزت : (لإيزابيلا) دائما في غرفة لا ترين العالم منها ؟

إزابيلا : هكذا خلق .

ليونور : إنى أرثى لحالك ، يا أختى .

ليزت : من حسن حظك أن أخاه له طبع آخر ، ياسيدتى ، وأن القدر كان رحيما بك فوضعك

بين يدى رجل معقول .

ايزابـــلا : يعتبر من قبيل المعجزات أنه لم يغلق على اليوم أيضاً بالقفل والمفتاح أو يصحبنى معه .

لـــيزت : والله لو كنت مـــكانك لبعثت به إلى الجحيم ، و . . .

سجاناريل : أين تذهبين ، إذا لم يكن سؤالى في غير موضعه ؟

ليونـــور : لا ندرى بعد ، كنت ألح على أختى أن تأتى لاستنشاق الهواء في هذا الجو الصحو ، ولكن...

سجاناريل : بالنسبة لكما تستطيعان الذهاب حيث تريدان ، فليس وراء كما إلا الجرى ،وها أنتما اثنتان معا . أما أنت فانى أحرم عليك الخروج ، من فضلك.

أرســـت : دعهن ، ياأخى ، ينطلقن للترفيه عن أنفسهن .

سجاناريل : أنا خادمك ، يا أخى .

أرســـت : الشباب يحب . . .

سجاناريل : الشباب أبله ، وكذلك الشيخوخة في بعـــض الأحيان .

أرســـت : أتعتقد أنه مما يعاب أن تكون مع ليونور ؟

سجاناريل : كلا ، ولكنى أعتقد أنها معى تكون أحسن .

أرســـت : لكن . . . .

سجاناريل : ولكن تصرفاتها يجب أن تتوقف على ، وفـــى النهاية أنـــا الذى يعرف كيف يهتم بهـــذه التصرفات .

أرســـت : هل تراني أوجه أي اهتمام لتصرفات أختها ؟

سجاناريل : ياإلهي ، كل واحد يفكر ويعمل كما يحلو له ، وصديقنا والدهما عهد إلينا وهو على فـــراش الموت بتولي أمرهما . وهو حين أسلم لنـــا قيادهما ، إما بأن نتزوجهما وإما – إذا لم نرد ذلك – بأن نقرر يوما مصيرهما بأنفسنـــا ، وجعل لنا عليهما سلطان الأب والزوج كامـــلا أوأخذت أنت على عاتقك تربية هذه ، وتعهدت أنـــا بتربية تلك ، وأنت توجه فتاتك تبعـــاً لإرادتك ، فدعني من فضلك أحكم الأخرى على هواي .

أرســـت : يبدو لي . . .

سجاناريل : يبدو لي ، وهذا ما أقوله بأعلى صوتي ، أن على من يتكلم في مثل هذا الموضوع أن يكون في كلامه جادا ، فأنت تتحمل من فتاتك أن تنطلق خفيفة أنيقة ، وهذا ما لا أعارض فيه ، وأن تكون محوطة بالتابع والوصيفة ، وهذا ما أسمح به ، وأن تجري وأن تستسلم للفراغ وتـــكون بكل حرية محـــط أنظار الظرفاء ، وهـــذا لا يغضبني ، ولكني أريد من فتاتي أن تعيـــش على هواي أنا ، لا على هواها هي ، وأن يكون لباسها من نسيج الصوف العادي المتـــواضـــع وإلا تلبس السواد إلا في المناسبات الكـــبرى [1]

---

(١) أيام الحفلات والمآدب الكبرى .

وأن تعيش حبيسة البيت كأى فتاة عاقلـــــة ،
حيث تنكب بكل كيانها على الأعمال المنزلية ؛
وفي أوقات فراغها ترقع لى ملابسي الداخليـــة
أو تتسلى بصنع بعض الجوارب ، وأن تســـد
أذنيها عن أحاديث الغزل والغزليين ، وألا تخرج
أبداً دون حراستى ؛ وأخيرا فإن الجسد ضعيف
، وأنا أسمع كل أنواع الإشاعات ولا أريد أن
أكون من حملة القرون ما استطعت إلى ذلك
سبيلا ؛ ولما كان قدرها قد هيأها لأن تـــكون
زوجتى ، فإنى أزعم أنى أستطيع الدفاع عـــن
نفسى .

ايزابـــلا : ليس لديك من سبب على ما أعتقد . .

سجاناريل : اسكتى ! سأعلمك كيف تخرجين دوننا .

ليونـــور : ماذا ياسيدى . . .

سجاناريل : يا إلهى ! لن أسترسل معك في الكلام ، ياسيدتى. لأنك أعقل من اللازم .

ليونـــور : أيضايقك أن ترى ايزابلا معنا ؟

سجاناريل : نعم ، إذا أردنا الصراحة ، فأنتم تفسدونها . إن زياراتكم لنـــا تضايقنى . وستضطروننى إلى منعكم من مواصلتها .

ليونـــور : أتسمح أيضاً لقلبى أن يكلمك بصراحة ؟ الحقيقة أنى لا أعرف بأى عين تنظر هى إلى كل ذلك ، ولكن لوأنه حدث معى أنا لزعزع ثقـــتى .

وبالرغم من أننا ننحدر من دم واحد، فإنه يدهشني أن نكون أختين حقا ، إذا صح أن تكون أساليبك في التصرف معها مما يوحى إليها بالحب .

لـيزت : الواقع ان كل هذه التصرفات أشياء مشينة ، هل نحن من الشرقيين حتى نسجن النساء ؟ لأنه يقال أنهن مستعبدات في هذه البلاد ، وأنه لهذا السبب قد حلت عليهم لعنة الله . إن شرفنا ، ياسيدى، يكون عرضة للزلل ، إذا كان يحتاج حتما إلى حراسة دائمة ؛ ثم أتظن أن هذه الاحتياطات يمكن أن تكون عقبة في طريق نوايانا ، وأننا إذا عنّ لنا فعل شيء لا نستطيع استغفال أوسع الرجال حيلة ؟ إن كل هؤلاء الحراس أقرب الناس إلى المجانين، ووالله إن آمن الطرق هو أن تثقوا فينا . إن من يضايقنا يعرض نفسه لأفدح الأخطار . وشرفنا يميل دائماً إلى أن يحرس نفسه بنفسه . ومن يواظب على تكبد المشاق ليحول بيننا وبين الخطيئة ، إنما يوحي إلينا تقريبا بارتكابها ، وإنى وإذا رأيت نفسى محاصرة بقسر زوجي ، أحسست بأنى منساقة إلى تحقيق مخاوفه .

سجاناريل : هذه هى تربيتك ، أيها المعلم العظيم ، وأنت تقبل ذلك دون أى تأثر .

أرست : ليس كل ما في حديثها ، ياأخى ، مما يشير

السخرية ، بل هناك بعض الحق فيما تريد أن تقوله . إن جنسهن يميل إلى الاستمتاع بشيء من الحرية . ومن العسير جدا أن تسيطر عليهن بالصرامة ؛ وليس في وسع الشكوك والارتجة والأسوار أن تخلق الفضيلة لدى النساء والبنات . وإنما الشرف وحده هو الكفيل بحفزهن على الاضطلاع بواجبهن ، وليست القسوة التي تفرضها عليهن . وإذا كان لى أن أكلمك دون نفاق فلتعلم أن وجود امرأة شريفة عن طريق القسر وحده شيء غير طبيعي ، ومن العبث أن تحاول السيطرة على كل خطوة من خطواتهن ، لأنى أرى أن القلب هو الذى ينبغى لنا أن نستميله . وأنا شخصياً ، مهما اتخذت من حذر ، لا أعتبر أن شرفي مصون بين يدى شخص ، إذا رأى نفسه والرغبة تحاصره من كل جانب ، لا ينتظر لكى يتردى في الرذيلة إلا أن يجد الوسيلة إليها .

سجاناريل : هذه كلها أغان !

أرست : ليكن ، ولكنى أعتقد دائما أنه يجب علينا تعليم الشبيبة عن طريق الضحك ، وأن نعالج عيوبها بكل رفق ، وألا نخيفها من كلمة الفضيلة . إن تصرفاتى مع ليونور تسير على هدى هذه المبادئ ، لم أجعل من أخف حالات الحرية ضربا من الجرائم ، وقد اعتدت على أن

استجيب دائما لرغبات شبابها ، ولم أندم قط على ذلك ، ولله الحمد. فسمحت لها بالتردد على المجتمعات الراقية وبضرورة التسلية ؛ حفلات الرقص والمسرح. وهذه أشياء أعتقد أنها كانت منذ القدم من عوامل تكوين شخصية الشباب. ذلك لأن مدرسة الحياة تستطيع خيرا من أي كتاب أن تعلم الشبان على النحو الذى نبتغيه ، وهم يمرحون في الهواء الطلق الذى يعيشون به. نعم ، انها تميل إلى الإنفاق على الفساتين والملابس الداخلية وأشرطة الزينة ولكن ماذا تنتظر مني أن أفعل؟ الواقع أنى أحاول أن أحقق لها هذه الرغبات ، فهى من المتع التى يمكن السماح بها للفتيات في مثل أسرنا مادام المال موجودا ، وإذا كان هناك أمر أبوى يجبرها على الزواج بي ، فليس فى عزمى أن أتحكم فيها ، وأنا أعرف جيدا أنه لا تناسب بين عمرينا وأترك لها حرية الاختيار كاملة . . . وإذا كان يمكن لدخل قدره أربعة آلاف من القطع الذهبية تصل في أوانها ، وحنان لاحد له ، ورعاية كلها رحمة أن تكفى فى نظرها للتعويض عن فرق السن من أجل هذا الزواج ، فإنها تستطيع أن تتقبلنى زوجا ، وإلا فلتختر غيرى ، لأنى أسلم بأن مصيرها بدونى قد يكون أحسن ؛ وأفضل أن أراها متزوجة بآخر على أن تمنحنى يدها كرها عنها .

سجاناريل : ياله من كلام معسول ، كله سكر وعسل.

أرست : على كل حال هذا طبعي ، وأشكر الله عليه . لم أتبع قط تلك المبادىء القاسية التي تجعل الأبناء يعدون باليوم والساعة أيام الآباء :

سجاناريل : لكن ما يحصل عليه الشخص من حرية في شبابه لا يسهل تخليصه منه بعد ذلك ، ولابد أن تسير مشاعره كلها على غير هواك ، إذا تعلق الأمر بتغيير طريقته في الحياة .

أرست : ولماذا تغيرها ؟

سجاناريل : لماذا ؟

أرست : نعم .

سجاناريل : لا أدرى .

أرست : هل ترى في ذلك ما يمس الشرف ؟

سجاناريل : ماذا ! إذا تزوجتها ، فقد تطالب بنفس الحريات التي نالتها وهي فتاة ؟

أرست : ولم لا ؟

سجاناريل : هل ستصل رغبتك في إرضائها إلى حد السماح لها باستخدام الأشرطة والكريات [1] ؟

أرست : بلاشك .

سجاناريل : وتسمح لها في طيشها أن تتردد على المراقص وأماكن الاجتماعات ؟

---

(١) كريات صغيرة من النسيج كانت تتدلى على الوجه .

أرســت : نعم بالتأكيد .

سجاناريــل : وأن يحضر الظرفاء إلى منزلك ؟

أرســت : وماذا في ذلك ؟

سجاناريل : أولئك الذين سيلعبون ويقدمون الهدايا ؟

أرســت : موافــق .

سجاناريــل : وستسمع زوجتك كلمات الغزل ؟

أرســت : ليس في ذلك أى بــأس .

سجاناريــل : وستنظر إلى هذه الزيارات المنزلية بعين لايظهر عليها الســخط ؟

أرســت : هــذ مفهــوم .

سجاناريــل : هيــا ، أنت مجنون عجــوز .

(لإيزابــلا)

ارجعى الى البيت حتى لا تسمعى هذا الأسلوب الفاضح .

أرســت : سأعتمد على عهد زوجتى ، وأستمسك دائما بأن أعيش كما عشت طول حياتى .

سجاناريــل : كم سأكون سعيد حين يصبح ديوثــا !

أرســت : أنا لا أدرى أى برج جعله قدرى قرينا لمولدى ، أما بالنسبة إليك، فانى أعرف أنك إذا لم تصبح ديوثا ، فلن يكون ذلك بفضلك ، لأن كل سلوكك إنما يؤدى إلى هذه النتيجة من أقصر الطرق .

سجاناريل : اضحك إذن أيها الساحر اللطيف . أوه ! ما أحلى أن يستمتع المرء بمشاهدة ماض ناجز الستين من عمره !

ليونور : أما عن المصير الذى تتكلم عنه ، فإنى أنا شخصيا أطمئن من هذه الناحية ، إذا أصبح له الحق ، عن طريق الزواج ، في عهد منى ، هذا ما يستطيع أن يكون واثقا منه . لكن أعلم أنى لو أصبحت زوجتك ، لما وعدتك شيئا .

ليزت : إنها مسألة ضمير بالنسبة لمن يضعون فينا ثقتهم ؛ أما بالنسبة لأمثالك ، فإنهم يستحقون ما يحل بهم .

سجارناريل : اذهبى ياقذرة اللسان ، يا أشنع الأفظاظ

أرست : أنت الذى جررت على نفسك هذه الحماقات ، ياأخى ؛ وداعا ! وأعلم أن حبس المرء لزوجته وسيلة سيئة ، وبعد فأنا خادمك .

سجاناريل : أما أنا ، فلست بخادمك .

— (وحده)

أوه إنهم قد فُضّلوا كل منهم على الآخر . يالها من أسرة أحوالها تسر الناظرين ! عجوز مجنون في جسم متهدم ويدعى الفتوة ، وفتاة مسيطرة متأنقة منتفخة الأدواج ، وخدم وقحاء لا ، إن الحكمة نفسها لن تستطيع القضاء على هذه الحال ؛ ولو أرادت أن تقوم اعوجاج مثل

هذه الأسرة ، لفقدت معناها وجوهر كيانها ؛
ولا شك أن مثل هذه الزيارات من شأنها أن
تفقد إيزابلا مبادئ الشرف التي تلقنتها لدينا ؛
وينبغي لكي أحول بينها وبين ذلك أن أبعث
بها بعد قليل للعناية بزرعة الكرنب وحظيرة
الدواجن .

المنظر الثالث

ارجاست ، فالير ، سجاناريل

فالير : (في قاع المسرح .) هاهو ذا ، ياأرجاست ،
لقمان الحكيم الذى أمجه ، والقيم القاسى على
تلك التى أعبدها .

سجاناريل : (معتقدا أنه وحده) ثم أليس مما يدهش حقا
هذه الدرجة من الفساد التي وصلت اليها
الأخلاق فى هذا العصر .

فالير : أريد أن أستوقفه ، إذا كان ذلك في مقدورى ،
وأحاول أن أعقد معه بعض الصلات .

سجاناريل : (معتقد أنه وحده .) فبدلا من أن تسود تلك
القسوة التي كانت فيما مضى تشكل الأخلاق
على خير وجه نرى الشبيبة في هذه الديار
تركب رأسها وتجرى وراء الحرية ولا تأخذ ...

(فالير يحيي سجاناريل من بعيد)

فالير : لم يدرك أنه هو الذى نحييه .

ارجاسـت : لعل عينه العوراء هى التى تتجه جهتنا : فلنذهب إلى الناحية اليمنى .

سجاناريـل : (معتقدا أنه وحده) : يجب أن أخرج من هنا ، فلن أجنى من وراء الإقامة في هذه المدينة إلا ..

فالـير : (مقتربا منه شيئا فشيئا) يجب أن أحاول كسب

سجاناريـل : (يسمع بعض الضوضاء .) أعتقد أنى سمعت كلاما .

(معتقدا انه وحـده .)

ففى الريف لن يتأتى لحماقات هذا العصر أن تجرح بصرى ، والحمد لله .

أرجاسـت : (لفالير) كلمـة .

سجاناريـل : (يسمع بعض الضوضاء من جديد .) من هناك ؟

(ولم يعد يسمع شـيئا)

هناك رنين في أذنـى .

في الريـف (معتقدا أنه وحده .)

كل تسليات بناتنا تنحصر في ....

(يرى فالير يحييـه .)

أهـذا من أجلنـا ؟

أرجاسـت : (لفالير .) اقترب

سجاناريـل : (دون أن يلتفت إلى فالير .) هناك لا أحد

من أولئك البلهـــاء المتطرفـــين .....

(فالير يحييه من جديد .)

يقتحـــم علينـــــا .... ماهـــذا !

(يستدير ويرى فالير يحييه من الناحية الأخرى.)
أيضـــا ؟ يالتهافت القبعات !

فالـــير : سيدى لعل هـــذا المتطفل يضايقك ؟

سجارناريـــل : جـــائز .

فالـــير : لكن مـــاذا ! إن شرف معرفتك عظيمة سرور عذب بالنسبة لى ، مما جعلنى أتوق من صميم قلبي لتحيتك .

سجاناريـــل : ليكـــن .

فالـــير : وأن أسعى إليك ، ولكن دون أى تكلف ، لكى أوكد لك أننى كلـــى في خدمتك .

سجاناريـــل : أصـــدقك .

فالـــير : من حسن حظى أنى أحد جيرانك ، وهذا ما أشكر عليه قدرى السعيد ،

سجاناريـــل : هـــذا حق .

فالـــير : ولكن ، ياسيدى ألا تعرف الأخبار التى تتداول في القصر ، ويقال انها أخبار أكيده . ؟

سجاناريـــل : وماذا يهمنى في ذلك ؟

فالـــير : صحيح ، ولكن الاستطلاع قد يدفع المرء أحيانا إلى معرفة الجديد فهل تذهب ياسيدى

لرؤية تلك الأبهة التى تعد لاستقبال ولى عهدنا .

سجاناريـــل : إذا كنت أريد .

فالـــير : لنعترف أن باريس تقدم لنا مئات المباهج الساحرة التى لا توجد في أى مكان آخر : فالأقاليم القريبة أماكن منعزلة . أين اذن تقضى وقتـــك ؟

سجاناريـــل : في شـــئونى :

فالـــير : النفس تحب الاسترواح ، وكثيرا ما تنهار من شدة تعلقها بالأعمال الجدية . ماذا تعمل في المساء قبل أن تأوى إلى فراشك ؟

سجاناريـــل : ما يعجبنى .

فالـــير : في أغلب الظن ، لا يمكن أن يقال خير من ذلك . هذا جواب مضبوط ، فحسن التقدير يقتضى الا يفعل المرء أبدا إلا ما يعجبه . ولو لم أعتقد أنك مشغول البال إلى أقصى حد، لذهبت لقضاء السهرة عندك في بعض الأحيان .

سجاناريل : أنا خادمك .

المنظر الرابع

فالـــير ، ارجاســـت

فالـــير : مارأيك في هذا المجنون غريب الأطـــوار ؟

أرجاســـت : رجل فظّ الجواب ، وحشى اللقـــاء .

فالـــير : آه ، إنى أتميز غيظـــا !

أرجاســت : من مــاذا ؟

فالــير : من ماذا ؟ أتميز غيظا من أن أرى تلك التي أحبها في قبضة وحش ، تنين حارس تحرمها قسوته من الاستمتاع بأية حريــة .

أرجاسـت : هذا هو مايعمل لمصلحتك . . وينبغي لحبك أن يعلق على هذه التصرفات كبار الآمال . اعلم ، لكي يطمئن قلبك ، أن امرأة تحرسها أعــين الرقيب تعتبر في منتصف الطريق إلى الاستجابة ، وأن وساوس الأزواج والآباء السوداء تساعــد دائما على تحقيق آمال العشاق . أنالا أسلك مسالك الظرفاء إلا في النادر القليل جدا ، فهذه أضعف مواهبي ، والتظرف والغزل ليسا من مهنتي ، ولكني كثيرا ماخدمت الباحثين عن الفريســة الذين يقولون ان أعظم سرور لديهم ينحصر في أن يلتقوا بالأزواج المزعجين الذين لايدخلون منازلهم دون أن يزمجروا ، أولئك الغــــلاظ الكريهين الذين لا ينفكون يراقبون ، دون منطق أو تفكير ، كل صغيره وكبيرة في سلــــوك زوجاتهم ، ويتذرعون بصفة الزوجية في فخر واعتداد ، فيعمدون إلى إذلال هؤلاء الزوجات علنا أمام أعين الطموحين الذين يؤكدون أنهم يعرفون كيف يستغلون هذه المواقف ويتخذون من المرارة التي تشعر بها السيدة تجاه هــــذه الصنوف من الاهانة مناسبة للرثاء لها والتعاطف

معها بكل حنان ، ويجعلون من الموقف مجـالا لدفع رغباتهم إلى الأمام ، بالاختصار إن قسوة الوصى على إيزايلا فأل طيب يبشر بتحقيـق آمالك .

فالـير : مرت أربعة شهور على حبى لها ، ولكنى لم أجد لحظة واحدة لمصارحتها .

أرجاسـت : الحب يفتق الحيلة للابتكار ، ولكن ذلك لايبدو عليك بأى حال : فلو كنت أنا . . .

فالـير : ولكن ماذا كنت تعمل ، إذا كان من المستحيل رؤيتها دون هذا الشرس ودون الخادمـين والخادمات الذين لا أستطيع الحصول عـلى مساعدتهم لى في حبى إلا بتقديم مقابل مـن الطعم المغرى ؟

أرجاسـت : إنها ، إذن ، لا تعرف حتى الآن أنك تحبهـا؟

فالـير : هذه مسألة لا أدرى عنها شيئا حتى يومنا هذا ، ولكنى كنت ألازم تلك الحسناء كظلها في كل مكان يقودها إليه هذا الوحش ، وكانت نظراتى تحاول في كل آن أن تشرح لنظراتها أن حـبى لها قد تجاوز المدى ، وكانت عيناى تتكلمـان بأقوى بيان ، ولكن من يدرينى أن لغتهمـا استطاعت أن تقرع مسامعها ؟

أرجاست : نعم ، إن هذه اللغة قد تكون غامضة في بعض الأحيان إذا لم تكن مصحوبه بترجمان من الكتابة أو الصوت .

فالير : ماذا أعمل للخروج من هذا العذاب ، ولكى أعرف ما إذا كانت الحسناء قد أدركت أنى أحبها ؟ هل لديك وسيلة ؟

أرجاست : هذا ما يجب البحث عنه : لندخل المنزل ، لكى نستطيع التفكير بصورة أفضل .

★★★

الفصل الثاني

المنظر الاول

ايزابلا ، سجاناريل

سجاناريل : هيا ، عرفت المنزل ، وعرفت الشخص من مجرد العلامات التى تفوهت لى بها .

إيزابلا : (جانبا) إلهى ! كن عونى ، وفي هذا اليوم عضد الخطة المحكمة لحب برىء .

سجاناريل : قلت إنه أخبرك أن اسمه فالير ؟

إيزابلا : نعم .

سجاناريل : هيه ، اذهبى أنت للراحة ، ارجعى إلى البيت ، ودعينى أتصرف ، سأذهب من فورى للكلام مع هذا الأبله الصغير .

إيزابلا : (وهى ذاهبة .) انى أقوم بمشروع يعتبر في غاية التهور بالنسبة لفتاة ، ولكن عذرى يكمن في هذه الصرامة الجائرة التى أعامل بها والتى لابد أن تثير أى نفس سليمة .

المنظر الثاني

سجاناريل ، إرجاست ، فالير

سجاناريل : (وحده) يجب ألا نضيع الوقت . هنا . من هناك ؟ حسن ، يبدو أنى أحلم. هالو ! قلت

هالو ، يامن هناك ! هالو ! لايدهشى ، بعد هذا الضوء أن أراه بعد قليل يسترق الخطى ليأتى إلى هنا ، ولكنى سأسارع ، وبالنسبة ؟ للأبله المجنون . . . .

(لارجاست الذى خرج فجأة)

رماه الله بالطاعون ، هذا الثور الضخم الذى جاء يحبط مسعاى ، فزرع نفسه أمامى ككتلة الخشب .

فالير : سيدى يوسفنى . . . . .

سجاناريل : أه ! أنت الشخص الذى أبحث عنه . .

فالير : أنا ياسيدى ؟

سجاناريل : أنت ، أليس أسمك فالير ؟

فالير : نعم .

سجاناريل : جئت للكلام معك إذا سمحت .

فالير : هل يمكن أن أسعد بتقديم أى خدمة لك ؟

سجاناريل : كلا . انا الذى جئت لأقدم لك خدمة . وهذا هو الذى أعطانى الحق في المجىء الى بيتك .

فالير : إلى بيتى ، يا سيدى ؟

سجاناريل : إلى بيتك . هل هذا يدهشك ؟

فالير : هذا يبهجى ، ونفسى تشعر بالسعادة من أجل الشرف . . .

سجاناريل : لندع مسألة الشرف جانبا ، أرجوك .

فالـــير : هل تتفضل بالدخـــول ؟

سجاناريل : لاحاجة إلى ذلك .

فالـــير : من فضلك ، ياسيدى .

سجاناريل : كلا ، لن أذهب إلى أبعد مما أنا .

فالـــير : لن أستطيع الإنصات اليك مادمت هنـــا .

سجاناريل : لاأريد أن أتحرك من مكانى .

فالـــير : ليكن ! لابد من الخضوع . بسرعة مادام السيد مصمما على رأيه ، أحضروا مقعدا هنا .

سجاناريل : أريد أن أتكلم واقفـــا .

فالـــير : وتتكبد كل هذه المشقة ؟

سجاناريل : أه ! قسر مزعج !

فالـــير : هذا الخروج عن حسن الذوق أمر منكر .

سجاناريل : هناك خروج آخر عن حسن الذوق لامثيل له ، وهو ألا ننصت إلى النـــاس الذين يريدون أن يكلمونا .

فالـــير : أنا ، إذن ، تحت أمرك .

سجاناريل : لاتستطيع أن تفعل خيرا من ذلك .

(يقومان بكثير من الحركات المتواضع عليها للمجاملـــة .)

كل هذه الطقوس غير ضرورية . أتريـــد أت تسمعنى ؟

فالـــير : طبعا ، ومن كل قلـــبى .

سجاناريل : قل لى : هل تعرف أنى وصى على فتاة صغيرة نوعا ما ، وجميلة إلى حدما ، وتقطن هذاالحى ، وتسمى إيزابـــلا ؟

فالـــير : نعـــــم .

سجاناريل : إذا كنت تعرف ذلك فلست في حاجـــة إلى تعريفك إياه ، ولكـــن هل تعرف أيضا أنى ، وقد لمحت فيها بعض المفاتن ، أهتم بها اهتماما آخر غير اهتمام الوصى . وأنهـــا تعد للحظوة بشرف فراشى ؟

فالـــير : كلا .

سجاناريل : ها أنا أعرفك إياه ، وانه من المناسب أن يتركها غرامك في سلام من فضلك .

فالـــير : من ؟ أنا ، ياسيدى ؟

سجاناريل : نعم ، أنت . ولنترك الرياء جانبا .

فالـــير : من قال لك ان نفسى منجذبة نحوها .

سجاناريل : أناس يستطيع المرء أن يوليهم بعض ثقتـــه .

فالـــير : من هـــم ؟

سجاناريل : هى نفســـها .

فالـــير : هـــى ؟

سجاناريل : هى . أهذا واضح ؟ إنها لما كانت فتاة أمينة ، فقد جاءت تسر إلى بالمسألة كلها ، كما كلفتنى ، فضلا عن ذلك ، بإخبارك بأن قلبها الذى أخذ

يشعر بالإهانة الشديدة من مطاردتك إياهـا ، منذ أن رحت تتتبع خطواتها ، قد مل سماع هذه اللغة من عينيك ، وأن رغباتك الخفية معروفة لها بما فيه الكفاية ، وأنك تكلف نفسك مشقة لافائدة من ورائها حين تحاول التمادى في أن تشرح لها حبا يصدم ماتكنه لى أنا من هيام في أعماق نفسها .

فالـير : تقول إنها هى التى قامت من تلقاء نفسها . . . .

سجاناريل : نعم ، بطلب المجىء اليك وإبلاغك الصريح الواضح ، ولما كانت تعرف النار التى تشتعل في قلبك ، فكم كانت تود أن تخبرك برأيها منذ البداية ، لو أن قلبها قد وجد في غمرة انفعاله من يحمل لك هذه الرسالة . ولكن آلام القسر القاسى دفعتها في النهاية إلى أن تلجأ إلى شخصيا في أن أحمل إليك هذا التحذير ، وهو ، كما قلت لك ، أن قلبها محرم على كل شخص غيرى ، وأنك لعبت بعينيك مافيه الكفاية وأنه إذا كان لديك مخ مهما صغر ، فانه يجب عليك أن تبحث لك عن ميدان آخر لنشاطك . وداعا حتى أراك من جديد . وهذا ما أردت منك أن تعرفه .

فالـير : (بصوت منخفض) . ماذا تقول ، ياإجاست ، في هذه المغامرة ؟

سجاناريل : (جانبا ، بصوت منخفض .) مفاجأة كبيرة لهم !

إرجاست : (لفالير بصوت منخفض) : يهديني تخميني إلى أنها لاتشعر نحوك بما يسيء ، وأن وراء هذه المسألة لغز محبوك الأطراف ، كما أن هذا الرأى نفسه لايصدر ، في نهاية الأمر ، عن شخص يود أن ينقطع الحب الذى يبديه نحوك .

سجاناريل : (جانبا .) : لقد أصاب منه مقتلا .

فالير : (لإرجاست بصوت منخفض) : نعم . . . . ولكنه برقبنا ، لنبتعد عن نظراته .

سجاناريل : (وحده) ما أشد مايبدو الارتباك على وجهه ؟ لاشك أنه لم يكن يتوقع هذه الرسالة . والآن لنناد إيزابلا ، فقد أبانت عن الثمار التى تنتجها لها كل اهتماماتها ، وقد ذاب فيها قلبها إلى حد أن مجرد نظرات رجل إليها أصبحت تجرح حياءها .

المنظر الثالث

ايزابلا ، سجاناريل

إيزابلا : (بصوت منخفض وهى تدخل) : أخشى ألا يكون هذا العاشق الملتهب العاطفة قد فهم قصدى من رسالتى ، أريد وأنا مكبلة بالأغلال التى أنا حبيستها ، أن أغامر برسالة أخرى تتكلم بشكل أوضح .

سجاناريل : هأنذا قد عدت .

إيزابلا : ماذا كان ؟

سجاناريل : أحدثت كلماتك كل آثارها ، وصاحبك قد نال جزاءه . كان يريد أن ينكر أن قلبه متيم ، ولكن لم أكد أخبره أن الرسالة من قبلك حتى خيم عليه الصمت والارتباك في آن واحد ، وأعتقد أنه لن يعود مرة أخرى .

إيزابلا : آه ! ماذا تقول لى ؟ أنا أخشى العكس وأن يكون في سبيله إلى أن يعد لنا أكثر من مفاجأة .

سجاناريل : وعلى أى أساس تبنين هذا الخوف الذى تتكلمين عنه ؟

إيزابلا : لم نكد نغادر البيت ، وكنت أطل من الشباك لاستنشاق الهواء ، حتى رأيت رجلا شابا يظهر أمامى في حنية هذا الشارع ، جاء يحمل لى تحية غريبة من قبل هذا الوقح ، ، وقذف إلىّ مباشرة في غرفتى بصندوق يحتوى على خطاب مغلق طوى على طريقة رسائل الحب ، أردت أن ألقى إليه بكل مابعث به ، ولكنه كان قد وصل إلى نهاية الشارع . وهآنذى أشعر بأن قلبى يتميز من الغضب .

سجاناريل : أترين كل هذا المكر والغدر ؟

إيزابلا : يحتم على واجبى أن أرد الصندوق والخطاب فورا إلى هذا العاشق الملعون ومن أجل ذلك أحتاج لشخص . . . . . لأنى لو أثقلت عليك مرة أخرى . . . . .

سجاناريل : بالعكس ، ياحبيبتى ، ذلك يكشف لى أكثر وأكثر عن حبك وإخلاصك وقلبي يقبل هذا العمل مسرورا . فإنك تأسرينى بهذا الطلب أكثر مما أستطيع التعبير عنه .

إيزابلا : خذ ، إذن .

سجاناريل : حسن . لننظر ماذا كتب لك .

إيزابلا : أه ! ياإلهى ! حاذر من أن تفتحه.

سجاناريل : ولماذا ؟

إيزابلا : أتريد أن يعتقد أنى أنا الذى فتحته ؟ يجب على البنت الشريفة أن تمتنع دائما عن قراءة بطاقات الحب التى يرسلها إليها رجل . وإن موجة الفضول التى يثيرها مثل هذا العمل لدى حدوثه تدل دلالة قاطعة على مقدار اللذة التى يشعر بها الناس بسماع أخباره . ، لذلك أرى من المناسب أن يرد إليه الخطاب فورا مختوما كما جاء ، لكى يعرف أكثر من ذى قبل درجة الاحتقار الصارخ الذى يكنه له قلبي . ويفقد هيامه كل أمل . ولا يعود مرة أخرى إلى هذه المغامرة .

سجاناريل : لاشك أنها على حق في كلامها هذا هيا ، إن روح الفضيلة فيك يسحرنى ، والتبصر أيضا . هأنذا أرى جيدا أن دروسى قد أثمرت في نفسك ، وأنك ، في نهاية الأمر ، جديرة بأن تكونى زوجتى .

إيزابــلا : لكنى لاأريد أن أحول دون رغبتك . الخطاب في يديك وتستطيع أن تفتحه .

سجاناريل : كلا ، لا أريد ذلك ، الحقيقة أن الحجــج التى أدليت بها رائعة ، وسأذهب من فورى لأداء المهمة التى كلفتنى بها ، وقبل أن أصل إلى هنا بخطوات سأبلغك بالنتيجــة ، ثم آتى إليــك لأطمئنك .

المنظر الرابع

سجاناريل ، إرجاست

سجاناريل : (وحده) ما أشد ابتهاج قلبي حين يرى فيهــا فتاة على هذه الدرجة من العقل ! إنها كنز من الشرف أحتفظ به في بيتى ،وترى في نظرة الحب ضربا من الخيانة ، وتتلقى رسالة غزل فتعتبرها طعنة قاتلة لكرامتها وتردها للعاشق على يــدى أنا ! ، أريد أن أعرف ، بعد أن رأيت كــل هذا ما إذا كانت فتاة أخى أهلا لسلوك مثــل هذا المسلك . الواقع أن البنات لسن إلا مانريد منهن أن يكن . هالو !

(يقرع باب فالير)

إرجاســـت : من هـــذا ؟

سجاناريل : خذ ، قل لسيدك ألا يتجرأ مرة أخرى ،فيكتب الخطابات ويبعث بها في صناديق من الــذهب وإن إيزابلا ثائرة الأعصاب جدا من جــراء

ذلك . انظر ! إنها حتى لم تتنازل بفتحه ، وسيعرف سيدك أى اعتبار تقيمه الفتاة لحبه ، والنتائج السعيدة التى يمكن أن ينتظرها من وراء هذا الحب .

المنظر الخامس

فالير ، إرجاست

فالير : ما الذى جاء يقدمه لك هذا الحيوان المتوحش ؟

إرجاست : هذا الخطاب ، ياسيدى ، الذى يدعى أنك بعثت به إلى إيزابلا في هذا الصندوق ، والذى سبب لها كما يقول أشد حالات الغضب . وقد عملت على رده إليك دون أن تتنازل بفتحه . أقرأ بسرعة ، وسترى ما إذا كنت مخدوعا .

فالير : (يقرأ) . أغلب الظن أنك ستدهش لهذا الخطاب ، وقد ترمينى بالتهور لكتابته ، وللطريقة التى اخترتها لإرساله إليك . ولكنى أجدنى في وضع لا يسمح لى بمراعاة الحكمة في تصرفاتى . ذلك أن الشناعة التى أحسها بحق في زواج يتهددنى وقوعه بعد ستة أيام جعلتنى أغامر بكل شىء . وفي سبيل التخلص منه بأى طريق ، رأيت من الأوفق أن أختارك بدلا من الركون إلى اليأس ومع ذلك لا تظن مطلقا أنك تدين بشىء لما اختاره لى قدرى المنحوس فليست حالة القسر التى أرزح تحت وطأتها

هى التى ولـــدت عندى المشــاعر التى أحسها نحوك ، ولكنها هى التى عجلت بالمصـــارحة بها ، وجعلتنى اتجاوز الشكليات التى تتطلبهـــا لياقة الجنس الذى أنتمى اليه وقد أصبح زواجى بك في أقرب وقت لا يتوقف إلا عليك . وأنا الآن لا أنتظر إلا أن تنهى إلى بما قرره حيك ، لكى أخـــبرك بالقرار الـــذى اتخذته . لكن ، وبوجه خاص، لاتنس أن الوقت يمر بسرعـــة البرق وأن قلبين متحابين يستطيعان التفـــاهم فيما بينهما بأنصاف الكلمات .

إرجاســـت : هيه ، أليست هذه حيلة بارعة ؟ إنها تعـــرف الكثير بالنسبة لفتاة في سنها ! من كان يعتقـــد أنها قادرة على تلك الحيل الغرامية ؟

غالـــير : أجد أنها في هذا الموقف قد بلغت غاية الروعة فهذه السمة فيعقلها وفي حبها تضاعف منحبى لها ،وتنضم إلى المشاعر التى يوحى إلى بهاجمالها.

إرجاســـت : جاء المغفل ، ففكر فيما ستقوله له .

المنظر السادس

سجاناريل ، فالير ، ارجاست

سجاناريل : (معتقدا أنه وحده) : أوه ! مبارك ثـــلاث مرات أو أربع ، هذا المرسوم الذى يحرم البذخ في الملابس ! [1] بفضله ستقل متاعبالأزواج ،

(١) كان قد صدر مرسوم فى سنة ١٦٦٠ قبل العرض الأول للمسرحية بقليل يحـــرم أشياء كثيرة مما تزين به الملابس من أدوات ووسائل الترف . المترجم .

وتضع الزوجات حدودا لمطالبهن أوه ! شكرا
جزيلا للملك على هذه المراسيم . كم أود من
أجل راحة هؤلاء الأزواج أنفسهم أن يجرى على
الخلاعة ما جرى على الدنتلة ومشغولات الابرة.
لقد أردت شراء هذا المرسوم بنصه لكى تقرأه
إيزابلا بصوت عال . فبعد قليل سيقل انشغالها
ويصبح المرسوم موضوعا لتسلية سهراتنا .

(يلمح فالـــير) .

هل ستعود ، ياسيدى صاحب الشعر الأشقر ،
إلى إرسال بطاقات الغرام في صناديق الذهب ؟
كنت تظن ، بطبيعة الحال ، أنك وقعت على
شابة خليعة تواقة للمكيدة متعطشة للمغازلـــة ؟
هأنتذا ترى بأية صورة تستقبل دورك : صدقنى
أنك تطلق نارك في فراغ : إنها عاقلة وتحبنى ،
وحبك يقززها ، فوجه سلاحك وجهةأخرى ،
واحزم متاعك وارحل عنا .

فالـــير : نعم ، نعم ، إن كفاءتك ياسيدى التى يعترف
بها كل انسان تعتبر في نظرى عقبة لا يمكـــن
تخطيها ، وقد كان جنونا منى أن عمدت في
غمرة غرامى المخلص إلى منافستك في حـــب
إيزابـــلا .

سجاناريل : حقا ، كان جنونا .

فالـــير : لذلك لم أكن لأترك قلبى فريسة لمفاتنهـــا ،

لو كنت قد خمنت أن هذا القلب البائس
سيلتقى بمنافس رهيب مثلك .

سجاناريل : أعتقد ذلك .

فالير : لم يعد عندى الآن أى أمل ، فأخلى لك المكان
ياسيدى دون زمجرة .

سجاناريل : تعمل خيرا .

فالير : هذا ما يفرضه على الحق ، فشخصك يتحلى
بالكثير من الفضائل التى تجعلنى أشعر بالخطأ ،
إذا نظرت بعين الغضب إلى تلك العواطف
الرقيقة التى تكنها لك إيزابلا .

سجاناريل : مفهوم .

فالير : نعم ، نعم سأترك لك الميدان ، ولكنى على
الأقل أرجوك « وهذه هى المكرمة الوحيدة التى
يطلبها منك محب بائس تعتبر أنت الآن السبب
الوحيد في آلامه » أستحلفك إذن أن تؤكد
لإيزابلا أنه إذا كان قلبى يحترق ومنذ ثلاثة
شهور من أجلها فإنه لم يفكر قط في شىء يمكن
أن يصدم شرفها .

سجاناريل : نعم .

فالير : وأن كل أهدافي ، بناء على ما اختاره قلبى دون
سواه ، كانت تنحصر في اتخاذها زوجة لى ،
لو لم تكن الأقدار ممثلة في شخصك أنت الذى

أسر قلبها ، قد وضعت العراقيل في سبيل شغفى العادل .

سجاناريل : حسن جدا .

فالير : وانه ، مهما حدث ، يجب عليها أن تتأكد من أن مفاتنها لن تغادر أبدا ذاكرتى ، وأنه مهما كان الحكم الذى تقضى به علىّ السماء لن يكون مصيرى إلا التفانى في حبها حتى آخر أنفاسى ، وأنه إذا كان هناك ما يعترض سبيل مواصلتى لما بدأته ، فليس ذلك إلا ما أكنه لفضائلك من احترام عادل .

سجاناريل : هذا كلام حكيم ، وسأذهب من فورى لأحكى لها هذا الحديث بصورة لاتصدمها ، ولكن إذا أردت النصيحة فإنه يجدر بك أن تحاول طرد هذا الهيام من بين ثنايا مخك . وداعا .

ارجاست : (لفالير .) هذا مغفل من صنف جيد .

سجاناريل : (وحده) إنه يثير إشفاقي ، هذا البائس المسكين المفعم بالحب ، ولكنه أخطأ حين وضع في ذهنه أن يستولى على حسن يعرف كل ذى عينين — أنى أنا الذى سيطرت عليه .

(سجاناريل يقرع بابه .)

المنظر السابع

سجاناريل ، ايزابــلا

سجاناريل : لم يحـدث لعاشق قـط أن عانى كـل هذا

الاضطراب أمام بطاقة الحب التى ردت اليه مغلقة ، لقد فقد كل أمل ، وانسحب في النهاية ؛ لكنه استحلفنى في رقة جمة أن أخبرك على الاقل أنه إذا كان قد أحبك ، فانه لم يفكر قط في شيء يمكن أن يصدم شرفك ؛ وأن كل أهدافه ، بناء على ما اختارته نفسه دون سواها ، كانت تنحصر في اتخاذك زوجة له ، لو لم تكن الأقدار ممثلة في شخصى أنا الذى أسرت قلبك قد وضعت العراقيل في سبيل هذا الشغف العادل ، وأنه مهما حدث يجب عليك أن تتأكدى من أن مفاتنك لن تغادر أبدا ذاكرته ، وأنه مهما كان الحكم الذى تقضى به عليه السماء لن يكون مصيره إلا التفانى في حبك حتى آخر أنفاسه ، وأنه إذا كان هناك ما يعترض مواصلة ما بدأه ، فليس ذلك إلا ما يكنه لفضائلى أنا من احترام عادل . هذه هى كلماته بالحرف ، وأنا ، بدلا من أن ألومه ، أعتقد أنه رجل شريف وأرثى له على أن أحبك .

إيزابلا : (بصوت منخفض .) حبه لم يخدع قط اقتناعى الكامن ، ودائماً كانت نظراته تحدثنى عن براءته .

سجاناريل : ماذا تقولين ؟

إيزابلا : من العسير على أن أراك ترثى بهذه القوة لحال رجل أبغضه بغضى للموت ، ولو كنت تحبنى

بقدر ما تقول لشعرت بالإهانة التى تسببها لى مطاردات.

سجاناريل : لكنه لم يعرف ميولك ، وما دامت نواياه شريفة فان حبه لا يستحق . . .

إيزابلا : قل لى ، هل من حسن النوايا محاولة اختطاف الاشخاص ؟

وهل من الشرف أن توضع الخطط للزواج منى بالإكراه بعد خطفى من بين يديك ؟ كما لو كنت فتاة تستطيع مواصلة العيش بعد أن ترتكب ضدى هذه الفضيحة .

سجاناريل : كيف ذلك ؟

إيزابلا : نعم ، نعم ، علمت أن هذا العاشق الخائن يفكر في الاستيلاء علىّ عن طريق الخطف ؛ وأنا من جهتى أجهل الممارسات السرية التى أنهت إلى علمه ، بهذه السرعة ، أخبار الخطة التى تدبرها ، خطة إعطائى يدك في ظرف ثمانية أيام على الأكثر ، إذ أنك لم تكلمنى بشأنها إلا أمس ، ولكنه يقول إنه سيسبق هذا اليوم الذى تقرر أن يجمع فيه بين مصيرك ومصيرى .

سجاناريل : هذا هراء .

إيزابلا : أوه ، سامحنى ! إنه رجل شريف جداً ولا يشعر نحوى . . .

سجاناريل : إنه مخطئ وهذا أمر لا يحتمل التهكم .

إيزابـــلا : هيا ، إن وداعتك تغريه بالاستمرار في جنونه ، فلو رآك منذ قليل تكلمه بعنف لخاف ثورتك ونفـــورى ، لأنه إنما صرح بهـــذه الخطة التى جرحت كبريائى بعد خطابه الحقير ، ولا يزال حبه ، كما بلغنى ، مصراً على الاعتقـــاد بأن مكانه في قلبي محفوظ ، وانى أتهرب مـــن الزواج بك ، وإن كان الناس جميعـــا يعتقدون فيه ، وسينظرون إلى انتزاعى من بين يديـــك بعين الرضا .

سجاناريل : إنه مجنـــون .

إيزابـــلا : بل يعرف كيف يتخفى أمامك ، وقصـــده أن يخدعك . اعلم أن الخائن يلعب بك عن طريق هذه الكلمات المعسولة . يالى من تعسة ! يجب أن أعترف بأنى ، مع كل حرصى على العيش في حومة الشرف وردى لرغبات مضلل جبان ، أرانى عرضة لمفاجآت مزعجة ومؤامـــرات دنيئة تحاك من حولى .

سجاناريل : هيا لا تخشى شيئاً .

إيزابـــلا : أما من جهتى فإنى أقول لك ، إذا لم تثر ضـــد هذه الطريقة البجحة ، ولم تجد في الحال وسيلة لتخليصى من اضطهادات هذا المتهور ، فإنى سأترك كل شىء وأعدل عن العذاب الـــذى أعانيه من تحمل إهانات هذا الشخص .

سجاناريل : لا تنزعجي إلى هذا الحد ، يازوجتي اللطيفة ، سأذهب لمقابلته ، وأكيل له الدور الذى يستحقه.

ايزابــلا : قل لــه ، على الأقل ، ألا فائدة من الإنكار وأني علمت بخطته من مصدر موثوق به ، وأني ، مهما يفعل من شيء ، أستطيع بعد هذا الإنذار أن أتحداه بأن يفاجئني ، وفي النهاية يجب عليك دون تضييع لوقت أو مجهود أن تعرفه طبيعــة عواطفي نحوك ، وأنه يتحتم عليه إذا أراد ألا يكون سبباً في حدوث كارثة أن يعمل على ألا يقال له الشيء نفسه مرتين .

سجاناريل : سأقول له ما يجب .

ايزابــلا : ولكن كل ذلك بنغمة تبين له أن قلبي يتكلــم جديا وبصورة حاسمة .

سجاناريل : ما عليك ، لن أنسى شيئاً ، هذا ما أؤكده لك .

ايزابــلا : سأنتظر عودتك بفروغ صبر ، عجل ، مــن فضلك ، بكل ما في استطاعتك . فإني أشعــر بالملل كلما مرت لحظة لا أراك فيها .

سجاناريل : هيا ، ياطفلتي ، ياقلبي ، لن ألبث أن أعود .

(وحــده)

هل هناك من هو أحكم أو أحسن منها ؟ آه ! ما أسعدني بها ، ما أشد بهجتي بأن تــكون لى زوجة تسير وفق رغبتي ! نعم ، هكذا يجب أن تكون النساء، وليس مثل أولئك اللائي يركن

المجال مفتوحا لكلام الناس عليهن ، ويجعلن أزواجهن الطيبين يشار إليهم بالإصبع أينما حلوا في باريس .

(يطرق باب فالير) .

هالو ، ياظريفنا صاحب المشاريع العظيمة .

المنظر الثامن

فالير ، سجاناريل ، إرجاست

فالير : سيدى ، ماذا جاء بك إلى هذا المكان ؟

سجاناريل : حماقاتك .

فالير : ماذا تريد أن تقول ؟

سجاناريل : أنت تعرف جيدا في أى شيء أريد أن أتكلم . لا أخفى عليك أنى كنت أظنك أعقل من ذلك . جئت تضحك على بكلماتك الجميلة وتخفى في نفسك آمالا مجنونة . الواقع أنى أردت أن أعاملك بالحسنى ؛ ولكنك في النهاية تضطرنى إلى الثورة . ألا تخجل وأنت من أنت ، من أن تدبر في ذهنك تلك المشروعات التى تدبرها ؟ من أن تسعى إلى اختطاف بنت شريفة ، وتعرقل زواجا يفتح لها باب السعادة ؟

فالير : من قال لك ، ياسيدى ، هذا الخبر الغريب ؟

سجاناريل : دعنا من المراوغة . عرفته من إيزابلا التى تبلغك على لسانى وللمرة الأخيرة أنها أفادتك بما فيه

الكفاية بمن هو موضوع اختيارها ، وأن قلبها ، وهو كله ملك لى ، يؤذيه مشروع مثل مشروعك ، وأنها تفضل الموت على أن تتحمل وقاحته ، وأنك ستسبب فضائح شنيعة ، إذا لم تضع حدا لكل هذه الربكة .

فالير : إذا صح أنها قالت ما سمعته الآن ، فإنى اصرح لك بأن حبى لم يعد أمامه ما يرجو منه الأمل ، إذ أرى من هذه الكلمات الواضحة أن كل شىء قد انتهى ؛ ولابد أن أحترم القرار الذى اتخذته .

سجاناريل : إذا صح ؟ . . . إذن أنت تشك في ذلك ، وتعتبر أن كل الشكاوى التى نقلتها إليك عن لسانها مجرد افتراء ؟ أتريد منها أن تعبر لك هى نفسها عما في قلبها ؟ أنا أقبل ذلك عن طيب خاطر لأصحح لك خطأك . تعال معى ، وسترى ما إذا كنت أخترع شيئا ، أو ما إذا كان قلبها يتأرجح بيننا نحن الاثنين .

(يذهب ليقرع بابه) .

المنظر التاسع

ايزابلا ، سجاناريل ، فالير

إيزابلا : ماذا ! تحضره لى ؟ ما قصدك من وراء ذلك ؟ هل تتصدى للدفاع عن مصالحه ضدى ؟ هل تريد منى ، وقد أخذت بمحاسنه النادرة ، أن أحبه وأن أتحمل زياراته ؟

سجاناريل : كلا يـا حبيبتى ، وقلبك أعز مـن ذلك . ولكنه يأخذ تحذيراتى على أنها حكايات من صنع الخيال ، ويعتقد أنى أنا الذى أتكلم وأجعلك ، بشيء من المهارة ، تمتلئين بالبغض له والحنان بالنسبة لى . وأخيراً أردت أن أقوم أنا نفـسى بتخليصه من خطأ يموّن حبه بالوقود .

إيزابـلا : (لفالير .) : ماذا ! ألا تبدو نفـسى بتمامها أمام عينيك ، وما زالت رغباتى مـوضع شك بالنسبة لك ؟

فالـير : نعـم ، فكـل ما قاله لى السيد مـن قبلك ، يا سيدتى ، من شأنه أن يذهل العقل واعـترانى الشك ، وذلك ما أعترف به . وهـذا القرار النهائى الذى يحسم مصير حبى النهائى قـد هز كيـانى بصورة تجعل صاحبة القرار لا تشعـر بأى غضاضة ، اذا ما تاق قلبى إلى سماعـه مرتـين .

إيزابـلا : كلا ، كلا ، لا يصح لهذا القرار أن يذهلك : إنهـا مشاعرى ، تلك الـتى ينقلها إليـك ، وأنا اعتقد أنها تقوم على أساس من الحق يكفى لدفعىَ إلى إعلان الحقيقة الكاملة . نعم ، أريد أن يكون فى علم كل من يهمه أمرى أن يكون قولى هذا مصدقاً : وهو أن القدر يصنع تحت بصرى شخصين يثيران فىَّ أحاسيس مختلفة ، وهما اللذان يصوغان كل ما يتحرك بقلـبى

المضطــرب من انفعالات . أحدهمـــا يحوز احترامى وكل حنانى عن اختيار عـــادل يقوم على الشرف ، والآخــر يثير كـــل غضبى واشمئزازى من أجل الثمن الذى يقتضيه منى حبه . ولكن كفانى إظهارا لعواطفى العادلـــة ، فلقد طال ما عشت في أقسى أنواع القلـــق ، ويجب على من أحبه أن يعجل بسد طريق الأمل أمام من أكرهه ، وليكن زواجا سعيدا يحـــرر مصيرى من عذاب اشنع عندى من الموت .

سجاناريل : نعم ، يا حبيبتى ، إنى أفكر أن أحقـــق لك ما تتوقعينـــه .

إيزابـــلا : هذه هى الوسيلة الوحيدة لإدخال السرور عـــلى نفـــسى .

سجاناريل : سيكون لك ما تريدين في أقرب وقت .

إيزابـــلا : أعرف أنه من العار على البنات أن يعـــبرن عن رغباتهن بهذه الصراحة .

سجاناريل : مطلقاً ، مطلقاً .

إيزابـــلا : ولكن في الحالة التى أصبحت عليها مصائرى ، يجب أن يسمح لى بمثل تلك الحرية . ثم من حقى أن أصرح دون خجل بمثل هذا الاعتراف الحلو إلى من أصبحت أعتبره زوجى .

سجاناريل : نعم يا تفاحتى ، يا أعز على من نفسى .

إيزابـــلا : أتوسل اليه أن يفكر ، إذن ، في أن يبرهـــن لى على حبـــه .

سجاناريل : نعم ، خذى قبلى يدى .

إيزابـــلا : وأن يعقد دون إبطاء زواجاً يحقق كل آمالى ، وأن يتلقى منى في التو والساعة ذلك العهد الذى أقطعه على نفسى بالا أنصت أبدا إلى تضرعات أى شخص آخـــر .

(تتظاهر بأنها ستقبل سجاناريل وتقـــدم يدها لفالير ليقبلها .)

سجاناريل : هى ، هى ، يا فروجتى الصغيرة ، يا جوهرتى الصغيرة المسكينة ، لن تنتظرى طويلا ، أضمن لك ذلك ، هيا ، كلام في سرك .

(لفالـــير .)

ها أنت ترى ، لست أنا الذى أوحى إليها بمـــا تقول . إن نفسها لا تهفو إلا إلىّ أنا وحدى.

فالـــير : مفهوم ياسيدتى ، مفهوم ! لقد أبنت عن قصدك بما فيه الكفاية ، هذا الحديث يشرح بجـــــلاء ماتريدينه منى على وجه السرعة ، وسأعمل من فورى على أن أزيل من طريقك وجود هـــذا الذى يسبب لك ذلك الإرهاق الفظيع .

إيزابـــلا : هذا أعظم سرور تستطيع إدخاله على نفسى ، لأن هذا المنظر كريه تحمله ، إنه يقززنى ،وقد بلغت شناعته درجة . . .

سجاناريل : اه ! اه !

إيزابلا : هل يغضبك أن تسمع منى هذا الكلام ؟ أتراني . . .

سجاناريل : يا إلهى ! كلا ، لم أقل ذلك : ولكنى أرثى بكل إخلاص للحالة التى وصلنا اليها ، حيث أراك تظهرين بغضك بأعلى صوت .

إيزابلا : لا أستطيع في مثل هذه المقابلة أن أكون أقل عنفا من ذلك .

فالير : نعم سيروقك ما سيكون ، وفي ظرف ثلاثة أيام لن تعود عينك تقع على الشخص الذى يسبب لك الاشمئزاز .

إيزابلا : من حسن الحظ . وداعا .

سجاناريل : (لفالير .) أرثى لخيبتك ، ولكن . . .

فالير : كلا ، لن تسمع قلبى يبوح بأى شكوى ، فلاشك أن سيدتى قد أوفت كلامنا حقه ، وسأعمل على تحقيق آمالها . وداعا .

سجاناريل : مسكين هذا الغلام ، إن ألمه لشديد . تعال قبلنى : إنها هى نفسها في شخصى .

(يقبل فالير .)

المنظر العاشر

ايزابلا ، سجاناريل

سجاناريل : في تقديرى أنه يستحق الرثاء إلى أقصى حد .

إيزابـــلا : لاتحمل همه ، ليس لديه ما يستحق الرثاء عليه مطلقـــا .

سجاناريل : هذا فضلا عـــن أن حبك هـــو الذى يهمنى في الدرجة الأولى ، ياجوهرتى الغالية ، وأريد له أن يستوفي حقه منى . وفترة الأيام الثمانيـــة لا يحتملها صبرى ، لذلك سأتزوجك منذ الغد ولن أنتظر حتى . . .

إيزابـــلا : منذ الغـــد !

سجاناريل : تتظاهرين بالتقهقر من باب الحيـــاء ، ولكنى أعرف جيدا مقدار البهجة التى غمرتك مـــن وراء هذا الحديث ، وتريدين لو أنالشىء كان قد تم بالفعـــل .

إيزابـــلا : لكـــن . . .

سجاناريل : لنعد لهذا الرواح كل مستلزماته .

إيزابـــلا : (جانبا) : يا إلهى ، الهمنى ما يمكن أن يعوقه.

* * *

الفصل الثالث

المنظر الاول

إيزابـــلا (وحدها)

يبدو لى أن الموت أخف ألف مرة من هـــــذا الزواج القاتل الذى براد قسرى عليه ، فينبغى لكل ما أعمله للفرار من هذه الشدة أن يلـــقى القبول في أعين رقبائى . الوقت يمضى بسرعة، وقد خيم الليل ، هيا ولأسلم قياد مصيرى إلى رحمة حبيبى دون خوف .

المنظر الثانى

سجاناريل ، إيزابلا

سجاناريل : (يكلم من هم في منزله)

ها أنا أعود ، وليذهب أحد منكم غداً مـــــن قبـــلى . . .

إيزابـــلا : يا إلهـــى !

سجاناريل : أهو أنت ، يا جميلتى ! أين تذهبين في هـــذا الوقت المتأخر ؟ كنت قد قلت لى من قبل حين تركتك إنك ستغلقين عليك باب غرفتك لأنك كنت متعبة ، بل ورجوتنى أن أؤجل عـــودتى

إليك حتى نهار غد من أجل أن تأخذى نصيبك من الراحة .

إيزابـــلا : هذا صحيح ، لكـــن . . .

سجاناريل : لكن ماذا ؟

إيزابـــلا : هأنتذا ترانى مضطربة ، ولا أدرى كيف أقول لك السبب .

سجاناريل : ماذا ! ماذا يمكن أن يكون ؟

إيزابـــلا : سر مذهل : اختى هى التى اضطرتنى للخروج الآن ، لأنها طلبت منى غرفتى التى كنت قد اختليت فيها بنفسى ، من أجل سبب لمتها عليه كثيراً .

سجاناريل : وكيف ؟

ايزابـــلا : من كان يصدق ؟ انها تحب ذلك العاشق الذى طردناه .

سجاناريل : فالـــير ؟

إيزابـــلا : طبعا . يالحماسها من حماس معدوم النظـــير ! ويمكنك أن تحكم على قوته القصوى من أنهـــا جاءت هنا وحدها في هذه الساعة تكشف لى عن همومها الغرامية وتقول لى إنها حتما ستفقـــد الحياة إذا لم تحصل روحها على موضوع غرامها ، وأن هناك منذ أكثر من عام مبادلات غراميـــة حارة تجرى بينهما في الخفاء ، وكان من شأنها

أن تداوم على حفظ حبهما حيا في قلبيهما بل وقد تواعدا على الزواج منذ بداية غرامهما .

سجاناريل : هذه الغادرة !

ايزابلا : ولما علمت بحالة اليأس التي القيت أنا فيها بالشخص الذى تحب أن تراه ، جاءت ترجونى أن أسمح لحبها بأن يقطع عليه سبيل رحيل قد يداعب عقله ، وأن تعقد هذا المساء حديثا باسمى مع هذا العاشق عن طريق الشارع الصغير الذى تطل عليه غرفتى ، وأن تدلى إليه ، في صوت يحاكى صوتى ، ببعض المشاعر العذبة التى يجذبه جمالها ، وفي النهاية ، أن تعمل بخفة ولطافة على أن تجتذب إليها عاطفة الحب التى من المعروف أنه يكتبها لى .

سجاناريل : وأنت تجدين أن ذلك . . . .

ايزابلا : أنا ؟ بل ان نفسى تغلى بالغضب . وقد قلت لها : أأنت مجنونة ، ياأختى ؟ ألا تخجلين من الشعور بكل هذا الحب لتلك الأصناف من الناس الذين يتغيرون مرة في كل يوم ؟ أن تنسى جنسك وتخونى آمال رجل جعلتك السماء من نصيبه ؟

سجاناريل : يستأهل ، وأنا في غاية الانسجام من ذلك .

إيزابلا : وأخيرا كان في وسع اشمئزازى منها أن يتذرع بمئات الأسباب لكى يؤنبها على دناءتها الفاحشة ،

ويرفض لها في هذه الليلة مطالبها ، ولكنها كشفت لى عن رغبات جد ملحة ، وسكبت الدمع الغزير ، وبعثت الكثير من الزفرات ، وأطالت الكلام في أنى سأقذف بها في هوة اليأس ، إذا رفضت لها ما يطلبه غرامها ، حتى مال قلبي للتسليم لها رغم إرادتى ، ولكى أبرر هذه المؤامرة الليلية التى ساقنى إلى المساعدة فيها حنان الدم ، كنت على وشك أن أسمح بالنوم معى للكريس [1] ، تلك التى كثيرا ما تمتدح لى فضائلها في كل يوم ، ولكنك فاجأتنى بعودتك المبكرة .

سجاناريل : لا ، لا ، لا أريد أن تجرى عندى كل هذه الألغاز . كنت أرحب بها فيما يخص أخرى ، ولكن قد يرى أحد من الخارج هذا المنظر . وتلك التى سأشرفها بجسمى لا ينبغى لها فقط أن تكون محتشمة ومن أُسرة كريمة ، بل يجب أيضاً أن تكون فوق الشبهات . هيا ، ولنطرد هذه الحقيرة ، أما عن هيامها . . .

إيزابلا : آه ، إنك بذلك تسبب لها حرجا لا يطاق ، لأنها في هذه الحال شتجد ألف سبب وسبب للشكوى من عدم محافظتى على السر ، ولما كنت قد

---

(١) امرأة رومانية انتحرت حنقا على إهانة وجهت إليها. ولا يخفى ما في هذه المقارنة من التهكم . المترجم .

عدلت عن التورط في خطتها ، فأرجو على الأقل أن تنتظر حتى أخرجها .

سجاناريل : حسن جداً ! افعلى .

إيزابلا : ولكن أرجوك ، بوجه خاص ، أن تختفى ، وأن تلاحظ خروجها دون أن تقول لها كلمة واحدة .

سجاناريل : نعم ، من أجل حبك سأكتب ابتهاجاتى ، ولكنى أريد أن أذهب لمقابلة أخى بمجرد خروجها دون تأجيل يسرنى كل السرور أن أذهب إليه جرياً لأحكى له هذه المسألة .

إيزابلا : أستحلفك ألا تذكر اسمى . طاب مساؤك ، لأنى سأغلق على باب غرفتى منذ الآن .

سجاناريل : (وحده) : إلى الغد ، يا حبيبتى . . . ما أشد تلهفى على أن أرى أخى ، وأحكى له عن حظه !

إيزابلا : (داخل البيت) يعز على أن يصدر عنى ما يكدرك ، ولكن الذى تريدينه منى مستحيل ، يا أختى ، فإنى أخاطر فيه بكل سعادتى ، وهى عزيزة على . وداعاً . انسحبى من هنا قبل أن يتأخر الوقت .

سجاناريل : ها هى ذى ، فيما أعتقد ، تسب وتلعن بقدر ما تستطيع : لنغلق الباب بالمفتاح ، خوفاً من أن تعود .

إيزابـلا : (خارجة) : يا إلهي ! لا تهجرني فيما صممت عليـه !

سجاناريل : أين ستذهب ، يا ترى ؟ لنراقب خطواتها بقدر المستطاع

إيزابـلا : (جانباً) : من حسن الحظ أن الظلام يسترني في اضطرابي

سجاناريل : إلى بيت المعشوق ! ما هي نواياها ، يا ترى ؟

المنظر الثالث

فالـير ، ايزابلا ، سجاناريل

فالـير : (خارجاً فجأة) : نعم ، نعم ، سأحاول الليلة بذل بعض المجهود للكلام . . . من هناك ؟

إيزابـلا : لا تثر أي ضجة ، يا فالير ، لقد سارعت إلى ما نريد ، أنا إيزابلا .

سجاناريل : (جانباً) : كذبت أيتها الكلبة ، أنت لست هي : إنها تعرف جيداً قوانين الشرف الذي تفرين أنت منه ، وتنتحلين اسمها وصوتها زوراً وبهتاناً .

إيزابـلا : (لفالير) : ولكن ، على الأقل ، لكي تكون رؤيتك في ظل ارتباط مقدس . . .

فالـير : نعم ، هذا هو الهدف الوحيد الذي يهفو إليه مصيري ، وأنا أعطيك كلمتي بأني سأذهب منذ الغد إلى حيث تريدين أن أنال يدك .

سجاناريل : (جانباً) : مسكين هذا المعتوه الذى يخدع نفسه !

فالير : ادخلى في أمان : فقبل أن يستطيع انتزاعك من رباط حبي تكون ذراعى قد اخترقت قلبه بآلاف الضربات .

سجاناريل : (وحده) : اطمئن ! أؤكد لك أنى لا أرغب مطلقاً في انتزاعها منك ، تلك الفاجرة التى استعبدها حبها ، فلست أحس أى غيرة من هذا العهد الذى تقطعه على نفسك ، بل لك أن تصدقنى إذا قررت لك أنك ستكون زوجاً لها ، لأن ذكرى والدها ، وهى جديرة بكل احترام ، مضافة إلى ما لأختها عندى من أهمية كبيرة ، تدعونى إلى أن أحاول رد شرفها اليها .

(يقرع باب مأمور الشرطة) .

المنظر الرابع

سجاناريل ، مأمور الشرطة ، موثق العقود بعض التابعين

المأمور : ماذا هنا لك ؟

سجاناريل : تحية ، يا سيدى المأمور . وجودك هنا في ملابسك الرسمية أمر ضرورى . اتبعنى ، من فضلك ، مسلحاً بنورك وعلمك

المأمور : نخرج . . .

سجاناريل : هناك مسألة عاجلـــة

المأمـــور : مـــاذا ؟

سجاناريل : أن تدخل هذا البيت ، وتفاجئ فيه شخصـــين مجتمعين معـــاً . يجب أن نجد وسيلـــة لعقـــد قرانهمـــا . إنها احدى فتياتنـــا غرر بها شخص يدعى فالير تحت عهد قطعه لها ، ودعاهـــا إلى الاعتصام في بيته . وهى تنحدر من أسرة نبيلة وفاضلة لكن . . .

المأمـــور : إذا كان ذلك هو كل ما في المسألة ، فان المقابلة موفقة ، اذ أن موثق العقود معنا هنا .

سجاناريل : السيـــد ؟

موثق العقود : نعم ، الموثق الملكى للعقود .

المأمـــور : فضلا عن أنه رجل شريف .

سجاناريل : هـــذا مما لا يحتـــاج إلى بيان . ادخلوا من هذا الباب ، دون إحداث أى ضجة ، واحذروا أن يخرج منه أحد . وسترضون كل الرضا عن نتائج مساعيكم . ولكن ، على الأقل ، إياكم وقبول الرشوة .

المأمـــور : كيف ؟ أتعتقد ، إذن أن واحدا من حراس العدالة . . .

سجاناريل : هذا الذى أقوله ، لا أريد به أن أغض من شأن وظيفتكم . سأذهب لاستحضار أخى فـــورا . وكل ما أرجوه الآن أن تنيروا لى الطريـــق

بمشعلكم ، سأدخل البهجة على قلبه ، هـــذا الرجل الذى لا يعرف الغضب ، هالو !

(يقرع باب أرست)

المنظر الخامس

أرســـت ، سجاناريل

أرســـت : من يقرع الباب ؟ آه ! آه ! ماذا تريد يا شقيقى ؟

سجاناريل : تعال ، أيها الموجه العظيم ، أيها الشاب الظريف الذى أكل عليه الدهر وشرب : يراد اطلاعك على شيء فاخر .

أرســـت : مـــاذا ؟

سجاناريل : جئتك بخبر عظيم .

أرســـت : ما هـــو ؟

سجاناريل : عزيزتك ليونور ، أين هى ، أرجوك ؟

أرســـت : لماذا هذا السؤال ؟ إنها ، على ما اعتقد ، إما في صالة الرقص وإما لدى إحدى صديقاتها .

سجاناريل : هيه ! نعم ، نعم ، اتبعنى : سترى إلى أى صالة رقص ذهبت الآنسة المصون .

أرســـت : ماذا تريد أن تحكى ؟

سجاناريل : لقد أجدت صقلها : ليس من الخير أن يحيـــا الإنسان حياة رقيب صارم ! وفي وسع المرء أن يكسب النفوس بالكثير من الوداعة ، وليس في

طاقة الاهتمامات المرتابة ولا الأرتجة ولاالأسوار أن تصنع الفضيلة لدى النساء أو البنات ! إننـــا بشدة صرامتنا ندفعهن إلى الرذيلة ، لأن جنسهن يتـــوق إلى شيء من الحرية . والحقيقة أنالماكرة الغادرة استحوذت منها على أكبر نصيب ، وأن الفضيلة قد أصبحت لديها على النطاق البشرى .

أرســـت : إلام يمكن أن يؤدى بنا هذا الحديث ؟

سجاناريل : هيا ، يا أخى الاكبر ، فهذا يليق بك على الوجه الأكمل ، أما أنا فلم أكن لأرضى بالحصـــول على عشرين قطعة ذهبية من النوع الكبـــير في مقابل ألا تجنى ثمار حكمتك المجنونة ، فها نحن نرى ما كان لدروسنا نحن الاثنين من أثـــر في سلوك الأختين : الواحدة تفر من مطاردة هذا الخليع ، والأخرى تطارده .

أرســـت : آلا يمكن أن تنيرنى بعض الشيء حول هذا اللغز؟

سجاناريل : اللغز ينحصر في أن صالة رقصها ليست إلا منزل السيد فالير ، حيث رأيت خطواتها تتجه إليـــه ليلا ، ولا شك أنها في هذه الساعة بين أحضانه.

أرســـت : من تقصـــد ؟

سجاناريل : ليونـــور .

أرســـت : لنكف عن المزاح من فضلك .

سجاناريل : أنا أمزح ؟ . . . إنه في غاية الطيبة مع مزاحـــه هذا . يالعقله المسكين ! قلت لك وأكرر لك

أن فالير يستحوذ على عزيزتك ليونور في منزله وانهما كانا قد تواعدا على الزواج قبل أن يفكر في مطاردة إيزابـــلا .

أرســـت : واضح أن هذا الكلام يخلو . . .

سجاناريل : لن يصدق ، حتى لو رأى بعينه : إنلك تثيرنى . أقسم أن السن لا تفيد صاحبها كثيرا ، ما دام صاحبها غير جدير بها .

(يضع يده على جبهته .)

أرســـت : ماذا ، أتريد يا أخى . . .

سجاناريل : يا سيدى أنا لاأريد شيئا : تعال معى لا أكثر ولن يلبث عقلك أن يقتنـــع ، فســترى أنى لا أخدعك وأن العهد الذى بينهما كان قد ربط بين قلبيهما منذ عام .

أرســـت : أيفهم من ذلك أنها وافقت على هــذا الارتباط دون علمى أنا الذى أظهرت لها دائما منذطفولتها تفهمى لكل ما تريد ، وأعلنت لها مئات المرات أنى لن أقف أبدا في سبيل رغباتها ؟

سجاناريل : على كل حال ستحكم شخصيا بعينيك عـــلى المسألة ، وقد أحضرت مأمور الشرطة وموثق العقود : فمن المصلحة أن يرد إليها هذا الزواج المذكور شرفها الذى فقدته ، لأنى أعتقد أنك لست من النذالة بحيث تقبل الزواج بها مع وجود تلك الوصمة ، اللهم إلا إذا كان لديك أيضـــا

من الحجج ما يجعلك تتجاوز كل ما قد يوجـه إليك من سخرية .

أرســـت : أنا ؟ بل لن يصل بى الضعف إلى هذا الدرجة القصوى التى تجعلنى أحاول احتلال قلـب بالرغم منه . . . ولكنى في النهاية لا أستطيـع الاعتقـاد . . .

سجاناريل : ما كل هذه الخطب ، هيا بنا ، وإلا فإن ذلك النقاش سيستمر إلى الأبد .

المنظر السادس

مأمور الشرطة ، موثق العقود ، سجاناريـل ، أرســت

مأمور الشرطة : ينبغى استبعاد أى لجوء إلى القوة هنا ، أيهـا السادة ، وإذا كانت رغباتكم تتجه إلى الزواج ، فلابد أن ثورتكم ستهدأ من فورها إذا علمتم أن كل الطرفين لا يريد إلا الزواج . وقد قام فالير فعلا بالنسبة لما يخصكم بالتوقيع على أنـه يعتبر تلك التى يمسك بها في منزله زوجة له .

أرســت : والفتـاة ؟

مأمور الشرطة : معتصمة ولا تريـد الخروج قبل أن تلتقـى رغباتكم برغباتها .

المنظر السابع

مأمور الشرطة ، فالير ، موثق العقود ،سجاناريل ، أرست

فالــير : (من شباك منزله) : كلا ، أيها السادة ، لن

يستطيع أحد الدخول هنا قبل الموافقة على هذا القرار . أنتم تعرفون من أنا ، وقد أديت واجبى بالتوقيع على الاعتراف الذى يمكن اطلاعكم عليه . فاذا كان في نيتكم أن توافقوا على الزواج ففى مقدور يمناكم أن توقع هى الأخرى على ما يضمن هذه النية ، وإلا فحاولوا أن تنتزعوا منى حياتى قبل أن تستولوا على من هى موضع حبى .

سجاناريل : لا ، إننا لا نفكر مطلقاً في إبعادها عنك .

(بصوت منخفض لنفسه) .

لا شك أنه لم يعرف بعد أنها ليست ايزابلا فلنستعد من هذا الخطأ .

أرســـت : (لفالير) . ولكن ، هل هى ليونور ؟

سجاناريل : (لارست) . اسكت .

أرست : لكن . . .

سجانازيل : الزم الهدوء —

أرســـت : أريد أن أعرف . . .

سجاناريل : أيضاً ؟ قلت لك اسكت ألا تريد أن تسكت ؟

فالـــير : مهما يكن من شيء فقد منحت إيزابلا عهدى ، وتلقيت أيضا عهدها ، وبالطبع لم أختر هذا الاختيار لكى أعطيكم الحق في رفضه .

أرســـت (لسجاناريل) . هذا الذى يقوله ليس . . .

سجاناريل : اسكت ، فهناك سبب ؛ ستعرف السر فيما بعد.

(لفالـــير) .

نعم توافق ، كلانا ، دون مناقشة على أنـــك زوج لتلك التي سنعثر عليها لديك الآن .

مأمور الشرطة : على هذا النحو يجب أن نتصور الأمر ، والاسم على بياض مادمنا لم نرها . وقعا . وبعد كمـــا ، ستوفق الفتاة بين الجميع .

فالـــير : أوافق على هذه الصيغة .

سجاناريل : وأنا ، فلست أطلب خيرا من ذلك .

(جانبـــا)

بعد لحظة سنموت من الضحك .

(بصوت عـــال) .

هنا ، وقع يا أخى ، السبق لك .

أرســـت : ولكن ، ما هى المسألة ؟ كل هذه الألغاز . . .

سجاناريل : كفى ثرثرة ، أيها المعتوه ، وقع أيها الغبى المسكين.

أرســـت : هو يتكلم عن إيزابلا ، وأنت تتكلم عن ليونور

سجاناريل : ألا توافق ، يا أخى ، على تركهما لعهدهمـــا المتبادل إذا ، كانت هى إياهـــا ؟ .

أرســـت : طبعـــا .

سجاناريل : إذن ، فوقع ، وأنا أيضا أوقـــع .

أرســـت : ليكن . لست أفهم شـــيئا .

سجاناريل : سنفهم . .

مأمور الشرطة : سنعود إليكم .

سجاناريل : (لأرست) الآن ، سأقول لك نهاية هذه القصة.

(يرجعان إلى قاع المسرح)

المنظر الثامن

ليونور ، ليزت ، سجاناريل ، أرست

ليونور : ياله من عذاب، هؤلاء المجانين الصغار ، ما أكثرهم إزعاجا لنا ، لقد انسحبت من الرقص من أجلهم .

ليزت : كل منهم يريد أن يحظى برضائك .

ليونور : أما أنا ، فلم أر أثقل من ذلك ، وكنت أفضل حديثا في غاية البساطة على هذه الحكايات الصبيانية ، على هذه الخطب الفارغة . إنهم يعتقدون أن كل ما في العالم يجب أن يستسلم لباروكاتهم الشقراء ، ويظنون أنهم قالوا خير ما يمكن أن يقال ، إذا جاءوا يتكلمون بنغمة المازح الردىء عن سخريتهم البلهاء من حب رجل كهل ، أما بالنسبة لى ، فان ريح الحماس التى أنشقها لدى هذا الكهل تفوق ألف مرة تلك الاندفاعات الهوجاء التى تخرج من مخ حدث . لكنه ، لست أرى . . .

سجاناريل : (لأرست .) : نعم ، هذه هى المسألة بحذافيرها

(لامحا ليونور :)

أه ، ها هى ذى تظهر ومعها الخادمة .

أرســت : ليونور ، لدى ما أشكو إليك منه ، ولكن دون غضب . أنت تعلمين أنى لم ألجأ تجاهلك إلى أى قسر ، وأعلنت مئات المرات أنى أترك لمشاعرك مطلق الحرية : ومع ذلك فان قلبك الذى احتقر حبى راح يقدم حبه وعهده لشخص آخر على غير علم منى ، لست نادما على حسن معاملتى ، ولكن لاشك أن طريقتك قد آذت شعورى ، وأن الحب الحنون الذى أكنه لك قلبى لم يكن يستحق منك هذا الفعــل .

ليونــور : لا أدرى ماذا تعنى بهذا الحديث ، ولكن تأكد كما كنت دائما ، وأنه لاشيء يستطيع أن يغــير ما أكنه لك من تقدير ، وأن أى حب آخــر أعتبره جريمة ، وأنك إذا أردت إرضاءشعورى نحوك ، فما عليك إلا أن تعمل على عقد قراننا الغــد .

أرســت : على أى أساس جئت ، اذن ، يا أخى . . .

سجاناريل : ماذا ! ألست خارجة من منزل فالير ؟ ألم تحكى قصة حبك في يومنا هذا ؟ ثم ألست تهيمين بحبه منذ عام ؟

ليونــور : من ذا الذىأعطاك عنىهذه الصورة الجميلــة، وأخذ على عاتقه صنع تلك الخرافــات ؟

المنظر التاسع

ايزابلا ، فالير ، مأمور الشرطة ، موثق العقود ،
ليونور ، أرست ، سجاناريل ، ليرت

إيزابـلا : أرجو العفو من كرمك ، ياأختي ، إذا كنت قد دنست اسمك بتصرفاتي ولكن الحيرة الملحة التي أوقعتني فيها مفاجأة قصوى أوحت إلى الليلة بهذه الخطة المزرية . والحقيقة أن مثلك يستهجن مثل هذا الاندفاع ، ولكن القدر قد عاملنا ، نحن الاثنتين ، معاملة مختلفة .

(لسجاناريل)

أما بالنسبة لك ، فإني لا أريد ، ياسيدى ، أن أقدم لك أى اعتذار ، فإني أفيدك أكثرا مما أضرك . لأن الله لم يخلقنا صالحين للحياة مجتمعين : وأعترف بأني غير جديرة بحبك ، ففضلت أن أرى نفسى بين يدى آخر على أن أكون لقلب مثل قلبك لا أستحقه .

فالـير : (لسجاناريل) . أما أنا ، ياسيدى ، فإني أدفع مجدى وأعز مالى ثمنا لانتزاعها من بين يديك .

أرسـت : هون عليك ، ياأخى ، فلابد أن تشرب الكأس. فهذا الذى حـدث لا يرجع إلا إلى أساليب سلوكك ؛ وفي رأيي أنه مما يزيد من فـداحة تعاستك أن يوقن النـاس بأنك مخدوع ، ثم لا يرثون لحالك .

لــيزت : في رأيي أن هذا الذى حدث يرجع فضله إليه ، وهذا الثمن الذى دفعه ثمنا لسلوكه يعتبر مثاليا في عبرته .

ليونــور : لا أدرى إذا كان هذا العمل يستحق الاحترام ، ولكنى على أى حال لا أوجه من أجله أى لوم .

إرجاســت : إن نجمه يرشحه للدياثة ، وإذا كان قد ظــل ديوثاً في برعمه ، فتلك من رحمة الأقــدار بــه .

سجاناريل : (وقد أفاق من حاله الإرتاج التى استولــت عليه) : كلا ، لن تزايلنى خيبة الأمل القاتلة التى حلت بى . هــذه الخدعة الجهنمية قلبت كيانى . لا أعتقد أن الشيطان شخصيا قد وصل إلى درجة الشر التى بلغتها هذه المحتالة . لقــد كنت على استعداد لأن أضع يدى هذه في النار من أجلها . تعس كل من يركن إلى امــرأة بعد ذلك ! لا يمكن لخير واحدة منهن إلا أن تكون دائما مثال الخصوبة في الكيد والخديعــة . إنه جنس لم يخلق إلا ليجر اللعنــة على العــالم بأسره . لقد عدلت إلى الأبد عن هذا الجنس الخداع ، ويطيب لى أن ألقى به إلى الجحــيم بنفس راضية .

إرجاســـت : ليكـــن .

أرســـت : لنذهب جميعا إلى بيتى . تعال ياسيد ، فالير . سنحاول غدا أن نخفف من غضبه .

لـــيزت : (من الصالة) . التفتوا جميعا إذا كان لديكم أزواج من الوحوش فما عليكم إلا أن تبعثـــوا بهم إلى مدرستنا .

★★★

الطبيب الطائر

"فـــارس"

تأليف : ج . ب . پ. موليير
ترجمة : د . محمد م . القصاص

العنوان الأصلي للمسرحية

Molière

LE MÉDECIN VOLANT

FARCE

شخصيات المسرحية

فالير	حبيب لوسيل	Valere
سابين	ابنة عم لوسيل	Sabine
سجاناريل	تابع فالير	Sganarelle
جورجيبوس	والد لوسيل	Gorgibus
رينيه البدين	تابع جورجيبوس	Gros-René
لوسيل	ابنة جورجيبوس	Lucile
المحامي .		

المنظر الاول

فالـــير ، سابـــين

فالـــير : نعم يا سابين ، ما هى النصيحة الـــتى ستقدمينها إلىّ ؟

سابـــين : في الحقيقة ، لدى الكثير من الأخبار . عمـــى مصمم على زواج ابنة عمي من فلبريكان ، وقد قطعت المسألة شوطاً كبيراً ، واعتقد أنـــه من الممكن أن يكونا قد تزوجا منذ اليوم ، لـــو لم تكن أنت موضعاً لحبها . ولكن لما كانت ابنة عمى قد بأحت لى بسر هذا الحب الذى تكنه لك ، وكنا قد بلغت القلوب منا الحناجر مـــن جراء بخل عمى الكريه ، فقد أمكننا الاهتداء إلى حيلة لتأجيل الزواج ، وذلك أن ابنـــة عمى بدأت منذ اللحظة التى أكلمك عنها تتصنـــع المرض ، وقد قام الكهل المسكين ، الـــذى يتصفبسرعة التصديق إلى حد كاف ، بإرسالى لاستدعاء طبيب . فإذا كان في مقـــدورك أن ترسل واحداً من أصدقائك يكون عـــلى علم بخطتنا ، فإنه يستطيع أن ينصحها بالذهاب إلى الريف لتغيير الهواء . ولن يتوانى الرجل الساذج عن إرسال ابنة عمى للاقامة في الجناح الموجود في طرف حديقتنا ، وهناك تستطيع التداول

معها على غير علم من عجوزنا ، وأن تتزوجها وتتركه يسب ويلعن مع فلبريكان .

فالـــير : ولكن ما الوسيلة للعثور فوراً في المكان الذى أنا فيه الآن على طبيب يرضى بالمغامرة من أجلى ؟ أقول لك بكل صراحة ، إنى لا أعرف أحـــداً من هذا القبيـــل .

سابـــين : عندى فكرة : ماذا لو ألبست خادمـــك ملابس طبيب ؟ لا شيء أسهل من خداع هـــذا الرجل الســـاذج .

فالـــير : إنه شخص اخرق كفيل بإفساد أى مشروع ، لكن لا مفر لنا من استخدامه ، ما دام لا يوجد لدينا غيره . وداعاً ! سأذهب للبحث عنه . أين أجد هذا الجلف الآن ، يا ترى ؟ لكن ها هوذا يأتى في الوقت المناسب .

المنظر الثاني

فالير ، سجاناريل

فالـــير : آه ! عزيزى سجاناريل ، ما أسعدنى برؤيتك ، أنا محتاج إليك في مسألة خطيرة النتائج ، ولكن لما كنت لا أدرى ما يمكنك عمله . . .

سجاناريل : ما يمكننى عمله ، يا سيدى ؟ ما عليك إلا أن تستخدمنى في أعمالك ذات النتائج الخطيرة ، في أى شيء هام : فمثلا أرسلنى لأعرف لك

كم الساعة في أية ساعة حائط ، لأعرف لك ثمـن الزبد في السـوق ، لكي أسق حصاناً ، وعندئذ ستعرف ما يمكنني عمله .

فالـير : لا أقصد شيئاً من هذا ، إنما يجب أن تقـوم بتقليد الطبيب .

سجاناريل : أنا ، طبيب ، يا سيدى ! أنا عـلى استعداد أن أفعل لك كل ما تريد ، أما أن أكون طبيباً ، فأنا خادمك المتواضع الذى لا يعرف شيئاً في هذه الحرفة : من أى طرف أتناولها ، يا إلهى ؟ يا أرحم الراحمين ! إنك تسخر منى يا سيدى .

فالـير : هيا ، إذا قمت بذلك ، فسأعطيك عشر قطع ذهبيـة .

سجاناريل : آه ! من أجل عشر قطع ذهبية لن أقول بأنى لست طبيبـاً لأنى ، أتنصـت إلى جيداً ، يا سيدى ؟ لأنى ، لست فطيناً بما فيه الكفاية لكى أقول لك الحقيقـة ، ولكن حينمـا أصبح طبيبـاً ، أين أذهب ؟

فالـير : عند عملك جورجيبوس ، لترى ابنته المريضة ، ولكنك جلف ، وبدلا من أن تحسن التصرف ، فإنك . . .

سجاناريل : هيه ، أستحلفك يا سيدى ، لا تقلـق بالك ، فأنـا أؤكد لك بـأنى سأنجح في إماتة شخص كأحسن طبيب في المدينة . يقول المثل السائر :

بعد الموت ، يأتى الطبيب . ولكنك ستراهم يقولون ، إذا ما تدخلت أنا في الأمر : بعد مجئ الطبيب ، حاذر من الموت . ومع ذلك ، فانى كلما فكرت في نفسى : ليس من السهل بأية حال أن يلعب المرء لعبة الطبيب ، وإذا لم أعمل شيئاً له قيمته ؟ . . .

فالير : ليس هناك أى شيء صعب في هذه المقابلة : جورجيبوس رجل بسيط فظ ، سينقاد للإنصات لحديثك ، ما دمت تتكلم عن أبو قراط وجالينوس ، وما دام فيك شيء من الوقاحة .

سكاريل : معنى ذلك أنه يجب الكلام في الفلسفة والرياضيات . دعنى اذن أقم بالعملية ، فاذا كان رجلا سهلا كما تقول ، فانى أضمن لك كل شيء ، وما عليك إلا أن تبحث لى عن حلة طبيب وتعلمنى ما ينبغى لى أن أفعله ، وأن تعطينى دبلوماتى التى هى القطع الذهبية العشرة وعدتنى بها .

(فالير وسجاناريل يذهبان .)

المنظر الثالث

جوجيبوس ، رينيه البدين

جورجيبوس : اذهب بسرعة لإحضار طبيب لأن ابنتى مريضة جداً ، وعجل .

رينيه البدين : يا له من تخبط ، لماذا تريد أن تزوج بنتك من رجل عجوز ؟ ألا ترى أن رغبتها في الحصول على شاب هي التي تشغل بالها ؟ انظر ما هنالك من ملابسات ،الخ (رطانات .) [1]

جورجيبوس : اذهب بسرعة ، أرى جيداً أن هذا المرض سيؤدى إلى تأجيل الفرح .

رينيه البدين : وهذا ما يثير أعصابى ، كنت أظن أنى سأعيد ترقيع بطنى بحشو جديد جيد ، ولكن هأنذا قد حكم على بالفطام . سأذهب لاستحضار طبيب من أجلى ، ومن أجل ابنتك ، لقد وصلت حالتى إلى حد اليأس .

المنظر الرابع

سابين جوجيبوس ، سجاناريل

سابين : أجدك في الوقت المناسب ، يا عمى لأزف اليك خبراً مطمئناً . أحضرت اليك أمهر طبيب في العالم ، رجلا جاء من البلاد الأجنبية ، ويحيط عاماً بأعظم الأسرار ، ولا شك أنه سيشفى ابنة عمى . لقد كان من حسن الطالع أن دلونى عليه ، فأحضرته إليك . وقد بلغ من العلم درجة جعلتنى أود من صميم قلبى أن أمرض لكى يشفينى .

---

(١) كلمات وعبارات لا معنى لها . المترجم .

جورجيبوس : أين هو؟

سابين : إنه في اثرى ، انظر هاهوذا .

جورجيبوس : أنا الخادم المتواضع لسيدى الطبيب ،أرسلت إليك من أجل ابنتى المريضة، وقد عاقت عليك كل أملى .

سجاناريل : يقول أبو قراط ، ويقرر جالينوس بأوضح الأدلة أن الشخص لايكون سليماً حينما يكون مريضاً .وأنت على حق حين تعلق على آمالك لأنى أعظم وأمهر وأعلم طبيب يمكن أن يوجد في مملكة النبات والحيوان والجماد.

جورجيبوس : أنا جد سعيد بذلك .

سجاناريل : لا يصبح أن يتطرق إلى ظنك أنى طبيب عادى ، طبيب من عامة الأطباء ، وليس سواى من جميع الأطباء إلا جهضاء طب بالنسبة لى : فعندى مواهب خاصة ، وعندى أسرار، سلام عليك ، سلام عليكم ، ياروودريج ، هل لك قلب ؟ ، سنيوروس ، سنيور نو . برأمنيا سايكولا سيكولروم [1] ولكن لنتفحص قليلا .

سابين : ليس هو المريض إنما هى بنته .

سجاناريل : لا أهمية لذلك: فدمُ الأب والأبنة ليس إلا شيئاً

---

(١) خليط من الايطالية والاسبانية واللاتينية الكنسية . والمعنى « نعم ياسيدى ، لا ياسيدى من خلال جميع العصور » كلمات يريد بها مجرد أن يبهر سامعه . المترجم .

واحدا . وفي وسعى أن أعرف مرض البنت عن طريق تغير دم الأب . ياسيد جورجيبوس ، هل هناك وسيلة لروية شيء من بول المدنفه؟[1]

جورجيبوس : نعم، اذهبي يا سابين بسرعة، والتمسي شيئاً من بول أبنتى (سابين تخرج) إن اخشى ما أخشاه ياسيدى الدكتور أن تموت .

سجاناريل : أه ، لتحذر ذلك كل الحذر ، لا يصح لها أن تتسلى بالاستسلام للموت دون وصفة من الطبيب . (سابين تدخل) ها هو البول الذى يشير إلى حرارة عالية والتهاب شديد في الأمعاء: ولكنه مع ذلك شيء بسيط .

جورجيبوس : إيه ، أتبتلعه ، ياسيدى ؟

سجاناريل : لا تدهش لذلك ، الأطباء يكتفون في العادة بالنظر إليه ، ولكنى وأنا الطبيب الذى يعلو على المتداول من الاطباء ، أبلعه : لأنى أستطيع بواسطة الذوق أن أحسن تشخيص سبب المرض وتطوراته . وإذا أردت الحقيقة ، فان الكمية كانت من القلة بحيث لا تمكننى من إصدار حكم صحيح ، فليطلب إليها أن تبول من جديد .

سابين : لم أنجح في جعلها تبول إلا بكل مشقة .

سجاناريل : ما معنى هذا ؟ لم يعد ينقصنا إلا ذلك ، دعيها

---

(١) المريضة التى يتهددها الموت . « المترجم » .

تتبول بغزارة ، بغزارة . لو كان كل المرضى يبولون على هذا النحو ، لأحببت أن أكـــون طبيباً طول حياتى .

سابـــين : هذا كل ما أمكن الحصول عليه : لن تستطيع أن تتبول أكثر من ذلك .

سجاناريل : ماذا ببنتك ، ياسيد جورجيبوس ، أليســت تبول إلا بالقطارة ؟ يالها من بائلة ضعيفـــة ، بنتك هذه ، أعتقد أنه يجب أن أعطيها دواء مبولا . هل هناك من وسيلة لرؤية المريضة ؟

سابـــين : إنها مستيقظة . سأدعوها للحضور ، إذا أردت .

المنظر الخامس

لوسيل ، سابين ، جورجيبوس ، سجاناريل

سجاناريل : هيه ، أأنت مريضة ، يا آنستى ؟

لوسيــــل : نعم ، ياسيدى .

سجاناريل : لا أهمية لذلك . هذا معناه أنك غير سليمـــة . هل تشعرين بآلام شديـــدة في الرأس ؟ فـــى الكليتين ؟

لوسيــــل : نعم ، ياسيدى .

سجاناريل : حسن جداً ، يقول أوفيد ، ذلك الطبيب النطاسى ، في الفصل الذى كتبه عن طبيعـــة الحيوانات . . . مئـــات الأشياء العظيمة ، ولما كانـــت الأمزجة التى بينها مشاركة تنطوى على كثـــير

من العلاقات ، لأن السوداوية مثلا عدو للمرح ، والمرارة التي تنتشر في الجسم تؤدى إلى اصفرار وجوهنا ، ولا شيء أضر بالصحة من المرض ، لما كان ذلك كذلك ، يمكننا أن نقول ، مع هذا الرجل العظيم ، إن بنتك مريضة جدا . يجب أن أكتب لك وصفة .

جورجيبوس : بسرعة : منضدة ، ورق ، حبر .

سجاناريل : هل هنا أحد يعرف الكتابة ؟

جورجيبوس : ألست تعرف أن تكتب ؟

سجاناريل : أه ، كان ذلك قد تاه عن بالى . رأسى مشحون بالأشياء إلى حد أنى أنسى نصفها . . . أعتقد أنه من الضرورى لابنتك أن تستنشق الهواء بعض الشيء ، أن تذهب إلى الريف كنوع من التغيير .

جورجيبوس : لدينا حديقة جميلة جدا ويضع غرف تطل عليها ، فإذا وجدتها مناسبة ، جعلتها مسكنا لها .

سجاناريل : هيا ، هيا نفحص المكان .

(يخرجون جميعا .)

المنظر السادس

المحامى

المحامى : سمعت أن ابنة السيد جورجيبوس مريضة ، فيجب أن أسأل عن صحتها ، وأعرض عليها خدماتى ، باعتبارى صديقا للأسرة .

يا أهل الله ، يا أهل الله ، السيد جورجيبــوس موجود ؟

المنظر السابع

جوجيبوس ، المحــامى

جورجيبــوس : أنا خادمك المتواضع ، يا سيدى ، الخ

المحامــى : سمعت بمرض الآنسة بنتك ، فجئت لأعبر لك عن أصدق مشاعرى ، وأقدم لك كل مــا في مقدورى عمله .

جورجيبــوس : كنت داخل المنزل مع أعلم رجل .

المحامــى : ألا يمكن أن أتكلم معه لحظة واحــدة ؟

المنظر الثامن

جورجيبوس ، المحامى ، سجاناريل

جورجيبــوس : هذا ياسيدى رجل ماهر جدا من أصدقــائى ، يتمنى أن يكلمك ويتجاذب معك أطــراف الحديث .

سجاناريل : ليس عندى وقت ، ياسيد جورجيبوس يجب أن أذهب إلى مرضاى . لن أكون جليسا لك ، يا سيدى .

المحامــى : بعد الذى سمعته من السيد جورجيبوس عــن جدارتك وعن علمك ، أشعر أن كلى رغبة في في أن يكون لى شرف معرفتــك ، فسمحت

لنفسي بالمجيء لتحيتك ، من أجل هذا الهدف :
وأعتقد أنك لن تجد مقصدى سيئا . ولا بد من
الاعتراف بأن جميع أولئك الذين يتفوقون في
أى علم يستحقون أعظم الثناء ، وبوجه خاص
أولئك الذين يحترفون مهنة الطب ، وذلك بسبب
فائدته من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه يتضمن
في ذاته عدة علوم أخرى ، مما يجعل الإلمام التام
به من الأمور الصعبة . ولذلك فإن أبو قراط على
تمام الحق ، إذ يقول في أولى حكمه : » الحياة
قصيرة ، والفن طويل ، والفرصة خاطفة ،
والتجربة خطيرة ، والحكم عسير . »[1]

سجاناريل : (بلجورجيبوس) : عسير تنتينا بوتا باريل كمبستيبوس[2] .

المحامى : أنت لست من الأطباء الذين لا يباشرون إلا الطب المسمى بالعقلى أو المذهبى ، وأعتقد أنك تمارسه كل يوم بكثير من النجاح : « التجربة تعلم الاشياء[3] ، وقد كان الرجال الأول الذين اتخذوا الطب مهنة لهم موضع تقدير بسبب تملكهم هذا العلم ، مما جعلهم يعدون بين الآلهة ، من أجل ضروب العلاج الجميلة التى كانوا يمارسونها كل يوم . وليس معنى ذلك أنه

---

(١) يتلو هذه الجمل باللاتينية . «المترجم» .

(٢) باللاتينية المشوهة إلى حد فقدانها كل معنى . « المترجم » .

(٣) باللاتينية . « المترجم » .

يصبح احتقار الطبيب الذى لم يستطع إعـــادة الصحة إلى مريضه ، لأن ذلك لايتوقف بأيـــة حال على علاجه ولا على معرفته . » الـــداء في بعض الأحيان أقوى من الفن ومن العلم. سيدى ، أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ، فأستودعك الله على أمل أن يكون لى الشرف ، لدى أول لقاء لنا ، في أن يطول الحديث بيننا أكثر من ذلك . إن وقتك ثمين . . . الخ .

(المحامى يخرج .)

جورجيبـــوس : ما رأيك في هذا الرجـــل ؟

سجاناريل : يعرف بعض الأشياء التافهة . ولو أنه بقى هنـــا فترة ، مهما كانت قصيرة ، لاستدرجتـــه إلى موضوعات سامية عاليـــة . ولكنى أستأذنك في الرحيل ،

(جورجيبوس يقدم له بعض النقود)

هيه ، ماذا تريد أن تفعل ؟

جورجيبـــوس : أنا أعرف تماما ما أدين لك به

سجاناريل : أنت تسخر منى ، ياسيد جورجيبوس ، لـــن آخذ شيئا ، أنا لست من هؤلاء المرتزقـــة .

(يأخذ النقود) خادمك المتواضع .

(سجاناريل يخرج ، جورجيبوس يدخل بيته)

المنظر التاسع

فالـــير (وحده)

فالـــير : لأدرى ماذا فعل سجاناريل . لم يصلنى حـــتى الآن شيء من أخباره ، ولا أدرى أين استطيع لقاءه . (سجاناريل يقبل في ملابس خـــادم) حسن ، هاهـــوذا . نعم ياساجاناريل ، ماذا فعلت منذ افترقنا ؟

المنظر العاشر

سجاناريل ، فالير

سجاناريل : روائع وروائع . نجحت في مهمتى ، حتى ان جورجيبوس اعتقد أنى طبيب ماهـــر . دخلت عنده ، ونصحته أن يبعث بابنته لتغيير الهواء ، وهى الآن في الجناح المقام في نهاية الحديقـــة ، بعيدة جدا عن العجوز ، مما يفسح لك السبيـــل لكى تذهب لرؤيتها على راحتك .

فالـــير : أه ! يالها من أخبار سارة ! سأذهب لرؤيتهـــا من فورى دون أن أضيع لحظة واحدة من الوقت

(يخـــرج .)

سجاناريل : الحقيقة أن هذا الرجل الساذج ، جورجيبوس ، لابد أن يكون مغفلا حتى ينخدع بهذه السهولة . (يلمح جورجيبوس .) أوه ، والله لقد ضاع كل شيء . هذه المفاجأة كفيلـــة بقلب كيـــان الطب . لكن يجب أن أحتال لخداعـــه .

المنظر الحادى عشر

سجاناريل ، جورجيبوس

جورجيبوس : يوم سعيد ، ياسيدى .

سجاناريل : أنا خادمك ، ياسيدى . إن الذى يقف أمامك غلام مسكين ، بلغ به اليأس غايته . ألا تعرف طبيبا وصل هذه المدينة منذ قليل ، وقام فيها بعلاج رائع . ؟

جورجيبوس : نعم ، أعرفه ، كان عندى وخرج من توه .

سجاناريل : أنا أخوه ، ياسيدى : نحن توأمان ، ولما كنا شديدى الشبه أحدنا بالآخر ، فإن الناس كثيرا ما يخطئون في التفرقة بيننا .

جورجيبوس : علىّ اللعنة ، إذا لم أكن قد خدعت فيك . وما اسمك ؟

سجاناريل : خادمك نرسيس ياسيدى . وأود أن تعرف أنى وأنا أعمل في عيادته ، أرقت قارورتين من الدهون ، كانتا على طرف المنضدة ، فأخذته نوبة غضب غريب ضدى ، وطردنى من المكن ، ويأبى أن يرى وجهى مرة أخرى . وأنا الآن شخص مسكين لاسند لى ولا معين ولا معارف .

جورجيبوس : لا تبتئس ، سأصلح بينكما : فأنا صديقه ، وأعدك بأن أعيدك إليه .
سأكلمه بمجرد أن أراه .

سجاناريل : سأكون أسير صنيعك ، ياسيدى جورجيبوس .

(يخرج سجاناريل، ثم لا يلبث أن يدخل لابسا معطف الطبيب)

المنظر الثانى عشر

سجاناريل ، جورجيبوس

سجاناريل : لابد من التسلي بأنه إذا كان المرضى لا يتبعون رأى الطبيب وينغمسون في الإسراف فإنهم . .

جورجيبوس : سيدى الطبيب ، أنا خادمك المتواضع ، جئت أطلب منك مكرمة .

سجاناريل : ماذا هناك ، ياسيدى ؟ هل تريد منى أى خدمة ؟

جورجيبوس : ياسيدى ، منذ قليل قابلت السيد أخاك الذى يشعر بأشد أنواع الضيق من ....

سجاناريل : هذا رجل خبيث ، ياسيد جورجيبوس .

جورجيبوس : أؤكد لك أنه نادم أشد الندم على إثارته غضبك .

سجاناريل : إنه سكير ، ياسيد جورجيبوس

جورجيبوس : هيه ، أتريد ، ياسيدى ، أن تلقى بهذا الشاب المسكين في هوة اليأس ؟

سجاناريل : لا أريد أن أسمع عنه أى كلام ، ولكن انظر إلى وقاحة هذا الخبيث إن يجرؤ على الذهاب إليك لكى تسوى له أمره ، أرجوك ألا تكلمنى عنه .

جورجيبوس : أستحلفك بالله ياسيدى الدكتور ، افعل هذا من أجلى .
وإذا تأتى لى يوماً أن أردّ لك جميلك ، فـإنى سـأفعل ذلك عـن كل طيب خاطر ، فقد وعـدت ، و . . .

سجاناريل : أراك ترجونى بكل إلحاح ، وبالرغم من أنى كنت قد أقسمت ألا أسامحه أبداً ، فهيا ، انتهى الأمر : لقد سامحته ، أؤكد لك أنى أحمـل نفـسى مالا تطيق ، ولولا ما أكنه لك مـن إعزاز ، لما استجبت لذلك . وداعاً ، يا سيد جورجيبـوس .

جورجيبـوس : سيدى ، أنا خادمك المتواضع جداً ، سأذهب للبحث عن ذلك الولد المسكين ، لأبلغـه هذا الخـبر السار .

(جورجيبـوس يدخل بيته ، وسجاناريـل يذهـب .)

المنظر الثالث عشر

فالـير ، سجاناريل

فالـير : يجب الاعتراف بأنى لم أكن لأعتقـد قـط أن يؤدى سجاناريل رسالته على هذا النحو الرائع .
(يدخل سجاناريل بملابس الخادم .) آه ، يـا تابعى المسكـين ، كم أنا مـدين لك ، ما أبهجنى ، ومـا . . . . .

سجاناريل : ما لك ترفع صوتك هكذا ، كما يحلو لك ، لقد قابلني جورجيبوس ، ولولا الحيلة التي ابتكرتها ، لانكشفت لعبتنا عن آخرها .

(لامحاً جورجيبوس .) اهرب ،ها هوذا .

(فالير يخرج .)

المنظر الرابع عشر

جورجيبوس ، سجاناريل

جورجيبوس : أبحث عنك في كل مكان لأخبرك أنى كلمت أخاك : وقد أكد لى أنه صفح عنك ، ولكن زيادة في التأكيد ، أريد منه أن يعانقك في حضورى ادخل بيتى ، وسأذهب لاستدعائه .

سجاناريل : آه ، سيد جورجيبوس ، أنا لا أعتقد أنك ستجده في هذه اللحظة ، ثم انى لن أبقى عندك ، أخشى ثورة غضبه .

جورجيبوس : أه ، ستبقى لأنى سأغلق عليك الباب . والآن سأذهب للبحث عن أخيك : لا تخش شيئاً ، فإنى أؤكد لك أنه لم يعد غاضبا (جورجيبوس يخرج) .

سجاناريل : (من الشباك) : الحقيقة أنى بهذه الضربة وقعت في المصيدة ، لم تعد أمامى وسيلة للفرار . السحب كثيفة ، وأخشى أنها إذا انفجرت فستنهمر على ظهرى رخات العصا بكل ضراوة ، وربما

نفحونى وصفة أقوى من جميع وصفات الأطباء ، فطبعوا على كتفى ، على أقل تقدير ، وسمة ملكية ، مما يوسم به المجرمون . إن أمورى تسير من سىء إلى أسوأ ، ولكن لماذا هذا اليأس ؟ إذا كنت قد عملت كل ماعملته ، فلنواصل الحيل إلى أقصى مداها . نعم ، نعم لابد أن أخرج من هذا المأزق ، وأن أكشف للناس أن سجاناريل ملك المحتالين .

(سجاناريل يقفز من الشباك ويذهب)

المنظر الخامس عشر

رينيه البدين ، جورجيبوس ، سجاناريل

رينيه البدين : هذا شىء عجيب ، لم يقفز الناس هنا من الشبابيك كما تقفز الشياطين ؟ يجب أن أبقى هنا لأرى إلام سينتهى كل ذلك .

جورجيبوس : من المستحيل أن أعثر على هذا الطبيب ، لا أدرى ، والله ، أين اختفى . (يلمح سجاناريل الذى يقدم في ملابس طبيب) لكن هاهوذا . سيدى ليس يكفى أن تصفح عن أخيك ، أرجو ، من أجل خاطرى ، أن تعانقه . إنه في بيتى وكنت أبحث عنك في كل مكان لأرجوك القيام بهذه المصالحة في حضورى .

سجاناريل : أنت تمزح ، ياسيد جورجيبوس ، ألا يكفى أنى صفحت عنه ؟ أنا لا أريد أبداً أن أراه .

جورجيبوس : ولكن ، ياسيدى ، أفعل ذلك من أجلى .

سجاناريل : لن أرفض لك أمرا : قل له أن ينزل .

(بينما يدخل جورجيبوس منزله من الباب ، يدخله سجاناريل من الشباك) .

جورجيبوس : (من الشباك) . هذا أخوك ينتظر أسفل المنزل : وقد وعدنى أن يفعل كل ما أريده .

سجاناريل : (من الشباك) أرجوك ، ياسيد جورجيبوس ، أن تدعوه للمجىء هنا :

وأستحلفك أن يكون اعتذارى له ونحن وحدنا ، لأنه في أغلب الظن سيوجه إلىّ الكثير من الشتائم والمذلات أمام جميع الناس . (يغادر جورجيبوس بيته من الباب وسجاناريل يغادره من الشباك) .

جورجيبوس : نعم سأذهب لأقول له ذلك . سيدى ، يقول أخوك ، انه يشعر بالخجل ، ويرجوك أن تدخل لكى يعتذر لك بينك وبينه . هذا هو المفتاح ، تستطيع الدخول . أتوسل إليك أن لا ترفض لى هذا الرجاء ، وأن تعمل على إرضائى .

سجاناريل : ليس هناك شىء إلا عملته لإرضائك : وستسمع الطريقة التى سأعامله بها . (في الشباك) آه ، أنت ذا ، أيها الوغد ، سيدى الأخ ، أرجوك المعذرة وأؤكد لك أن الذنب ليس ذنبى — يا أس الفساد ، ياوغد ؟

اذهب ، سأعلمك أصول الحياة . وتواتيك الجرأة لإزعاج السيد جورجيبوس وتحطيم رأسه بحماقاتك ؟ سيدى الاخ . . . اسكت ، قلت لك أن تسكت — أنا لا أمس كرا . . . — اسكت أيها الصعلوك .

رينيه البدين : من تظن ، يا ترى ، أنه عندك في هده الساعة ؟

جورجيبوس : الطبيب وأخوه نرسيس ، كان بينهما بعض الخلاف وهما الآن يتصالحان .

رينيه البدين : يا لعنة الله ! إنهما ليسا إلا شخصاً واحداً .

سجاناريل : (من الشباك) ، أيها السكير ، سأعطيك أصول الحياة ، انظر اليه كيف يغض من بصره ، لا شك أنه يشعر بخطئه هذا اللعين . أه ، هذا المنافق ! ويتظاهر بأنه من أولياء الله الصالحين .

رينيه البدين : سيدى ، قل له أن يتكرم ، ويجعل أخاه يظهر لحظة واحدة في الشباك .

جورجيبوس : سيدى الطبيب ، أرجوك أن تجعل أخاك يظهر في الشباك .

سجاناريل : (من الشباك .) إنه غير أهل لرؤية الناس الشرفاء ، ثم إنى لا أطيق وجوده بجانبي .

جورجيبوس : سيدى ، ترفض لى هذه المنة بعد كل ما فعلته من أجلى .

سجاناريل : (من الشباك) ، الحقيقة يا سيد جورجيبوس

أن لك من القدرة عليّ مالا أستطيع معه أن أرفض لك شيئاً . أظهر نفسك ، أظهر نفسك ، أظهر نفسك ، أيها الصعلوك ، (بعد أن يختفي لحظة يعود إلى الظهور في ملابس التابع .) يا سيد جورجيبوس : أنا مقر بفضلك . (يختفي ثانية ، ثم لا يلبث أن يظهر من جديد في ملابس الطبيب .) هيه ، رأيتم هذه الصورة من الفساد ؟ .

رينيه البدين : الحقيقة أنهما واحد ، ولكي أبرهن لك على صدق ما أقول ، أطلب منه أن تراهما معاً .

جورجيبوس : لكن قدم إلى هذا الفضل ، واطلب منه أن يظهر معك ، وعانقه أمامي في الشباك .

سجاناريل : هذا أمر أرفضه بالنسبة لأي شخص آخر غيرك ، ولكن ، لكي أبين لك أني مستعد لعمل أي شيء من أجل إرضائك ، فقد وافقت على ذلك ، وإن لم يكن دون مشقة ، وأريد منه أولا وقبل كل شيء أن يطلب صفحك عن كل المشاق التي كبدك إياها . — نعم ، يا سيد جورجيبوس ، أطلب منك الصفح عما سببته لك من ازعاج ، وأعدك ، يا أخي ، في حضور السيد جورجيبوس الذي هو هنا بأن أحسن السلوك منذ الآن ، حتى لا يعود لديك ما تشكو منه ، وأرجوك ألا تفكر بعد الآن في كل ما حدث .

(يعانق قبعته وياقته اللتين وضعهما على طرف مرفقـــه .)

جورجيبـــوس : هيه ، ألا تراهما معاً ؟

رينيه البدين : أه ! والله إنه لساحـــر !

سجاناريل : (خارجاً مـــن المنزل في مـــلابس طبيب) ، سيدى ، هذا هو مفتاح منزلك أرده إليـــك ، ولم أرد أن ينزل هـــذا الخبيث معى ، لأنـــه يخجلـــنى : لا أحب أن يراه الناس معـــى في المدينة ، حيث أتمتع ببعض الشهرة . ولك أن تخرجـــه حينما يحلو لك ذلك . أحييك وأنـــا خادمك . . . الـــخ

(يتظاهر بأنه يذهب وبعد ذلك ينزع عنـــه معطفه ، يدخل البيت من الشباك)

جورجيبـــوس : يجب أن أذهب لتخليص هذا الولد المسكين ، في الواقع ، انه اذا كان قد صفح عنه ، فانـــه لم يفعل ذلك دون إذلاله .

(يدخل منزله ويخرج مع سجاناريل في ملابس تابـــع .)

سجاناريل : سيدى ، أشكرك على الإزعاج الذى تكبدته ، والعطف الذى أظهرته نحوى ، وسأدين لك بهذا الجميل طـــول حياتى .

رينيه البدين : أين تظن أن يكون الطبيب الآن ؟

جورجيبـــوس : ذهـــــب .

رينيه البدين : (الذى التقط معطف سجاناريل .) : هـا هو تحت إبطى . هذا هو الخبيث الذى كان يلعب عليـك الملهاة ، يجتمع فالير وابنتـك معاً ، ويتصرفان كما يحلو لهما أن يتصرفا .

جورجيبـوس : آه ! ما أتعسنى ! ولكنك ستشنق ، أيها الختال ، أيهـا الصعلوك .

سجاناريل : يا سيدى ماذا ستنال من شنقى ؟ أريد أن أقول لك كلمة واحدة ، فأنصت إلى من فضلك : صحيح أن وجود سيدى مع ابنتك كان بفضل حيلتى ولكنى حين خدمت سيدى ، لم أسىء إليك في شىء: إنه ندٌّ لها من حيث المحتد ومن حيث الثروة . فصدقنى ، ولا تثر أى ضجة قد تضر بسمعتك . وابعث إلى الجحيم بكل هؤلاء الخبثاء ، مع فلبريكان . ولكن ها هما عاشقانا قـادمين .

المنظر السادس عشر والأخير

فالير ، لوسيل ، جورجيبوس، سجاناريل

فالـير : إننا نلقى بأنفسنا تحت قدميك .

جورجيبـوس : لقد عفوت عنكما وأنا سعيد بخدعة سجاناريل الـذى أتاح لى صهراً صالحاً مثلك . هيا نقيم الفرح ونشرب نخب مجموعتنا بأسرها .

غيرة الباربوييه

"فارس"

تأليف : ج. ب. پ. موليير
ترجمة : د. محمد م. القصاص

العنوان الأصلي للمسرحية

Moliére

LA JALOUSIE DU BARBOUILLE

FARCE

شخصيات المسرحية

الباربوييه : زوج أنجيليك	Le Barbouillé
الدكتـــور :	
أنجيليـــك : ابنة جورجيبوس	Angélique
فالـــير : حبيب أنجيليك	Valére
كاتـــو : وصيفة أنجيليك	Cathau
جورجيبوس : والد أنجيليك	Gorgibus
فلبروكـــان :	Villebriquin
لافاليـــه :	LaValée

المنظر الاول

باربوييــه [١]

باربوييــه : يجب أن أعترف بأنى أتعس إنسان في العــالم . فلدى زوجة تثير أعصابى . بدلا من أن تــروح عنى وتعمل الأشياء على مزاجى ، تصلينى نار الجحيم عشرين مرة في اليوم ، وبدلا مــن أن تستقر في البيت ، تحب النزهة وطيب المائــدة ، وتتردد على لا أدرى أى نوع من الناس . آه مسكين ، ياباربوييه ، يالك من بائس ومع ذلك فلابد من عقابها . لو قلتها ؟ . . . فكرةلاتساوى شيئا ، لأنى في هذه الحالة سأشنق . لو زججت بها في السجن ؟ . . .

ستخرج منه الصعلوكة بطفاشتها [٢] . مــاذا يمكننى أن أعمله ، إذن ؟ ولكن ها هو السيد الدكتور مارا من هنا ، يجب أن أطلب منـــه نصيحة طبية عما ينبغى أن أفعله .

المنظر الثاني

الذكتور ، باربوييه

باربوييــه : كنت على وشك الذهاب إليك لألتمس منــك أمرا يهمنى جدا .

---

(١) اسم الشخص ولكن الكلمة معناها فى اللغة « الملطخ بالوحل » .

(٢) يعنى المفتاح الذى يفتح جميع الأقفال .

الدكتــور : لامراء في أنك سيئ التربية ، فظ الطبـاع ، قليل الأدب ، ياصديقى ، ما دمت تقربنى دون أن ترفع قبعتك ، دون مراعاة « لقاعدة » المكان والزمان والشخص » [1] . ماذا ! تبدأ بادئ ذى بدء بحديث ممجوج ، بدلا مـن أن تقول : « سعيد نهارك ، أو طابت صحتك يادكتور ، يا أعلم الدكاتره [1] » هيه تظننى مـن ، ياصديقى ؟

باربوييــه : أستحلفك أن تسامحنى ، كنت مشغول الذهن ، ولم أفكر فيما أفعل ، ولكنى أعرف جيدا أنك رجل ظريف .

الدكتــور : أتدرى من أين جاءت كلمة « رجل ظريف »؟

باربوييــه : سواء أجاءت من مصر العتيقة أم من شـبرا ، فهذا أمر لايهمنى .

الدكتــور : أعلم أن كلمة « رجل ظريف » جاءت مـن « لطيف » أخذ الحرفان الأخيران المقطع الثانى للكلمة وجعلا في مكانهما من المقطع الأخـير للكلمة التى نحن بصددها ، وأخذ المقطع الأول من كلمة « لطيف » الذى يتكون من الـلازم والفتح واستعيض فيه بالظاء عن اللام تبعالقانون صوتى معروف ، فأصبح « ظ » ، وهـو المقطع الأول من كلمتنا ، ثم جيء إلى الطـاء

(١) يذكر هذه الجمل فى صورة مصطلحات فلسفية باللغة اللاتينية .

واستبدلت بها الراء استبدالا لفظيا ومعنويا ، ووضعت في وسط الكلمة فأصبح لدينا « ظريف » أضيف إليها « رجل » فنجم عن ذلك كلمة « رجل ظريف » . ولكن مرة أخرى تظننى من ؟

باربوييه : أعتقدك دكتورا ، وبعد ذلك لنتكلم في الموضوع الذى أود طرحه عليك . يجب أن تعلم . . .

الدكتور : اعلم بادئ ذى بدء أنى لست دكتورا فقط ، بل دكتور مرة ومرتين وثلاث مرات وأربع مرات وخمس مرات وست مرات وسبع مرات وثمانى مرات وتسع مرات وعشر مرات أولا ، لأن الوحدة هى القاعدة والأساس والمبدأ لجميع الأعداد . وأنا أيضا ، أول الدكاترة جميعا ، دكتور الدكاترة . ثانيا ، لأن هناك ملكتين ضروريتين للمعرفة التامة بجميع الأشياء ، وهما الحس والفهم ، ولما كنت حسا بحتا وفهما بحتا ، فإنى دكتور مرتين .

باربوييه : موافق . ذلك أن . . .

الدكتور : ثالثا ، لأن العدد « ثلاثة » هو عدد الكمال تبعا لأرسطو ، ولما كنت كاملا وكانت كل منتجاتى أيضا كاملة فإنى دكتور ثلاث مرات.

باربوييه : وبعد ، سيدى الدكتور . . .

الدكتور : رابعاً ، لأن الفلسفة ذات أربعة أقسام : المنطق

والأخلاق والطبيعة وما وراء الطبيعة ، ولما كنت استحوذ على الأربعة بأسرها وكنت متضلعا فيها تماما ، فانى دكتور أربع مرات .

باربوييه : ياحفيظ ! لست أشك في شيء من ذلك، انصت إلىّ إذن .

الدكتور : خامسا ، لأن هناك خمس كليات : الجنس والنوع والفصل والجوهرى والعرضى ، تلك التي بدونها يستحيل عمل أى استدلال ، ولما كنت استخدمها بامتياز ، وأعرف فائدتها ، فإنى دكتور خمس مرات .

باربوييه : أرجو الله أن يهبنى نعمة الصبر .

الدكتور : سادسا ، لأن العدد « ستة » هو عدد العمل ، ولما كنت أعمل دون انقطاع من أجل مجدى ، فإنى دكتور ست مرات .

الباربوييه : هو ! هو ! تكلم كما تشاء .

الدكتور : سابعا ، لأن الرقم سبعة هو رقم السعادة ، ولما كنت في واقع الأمر سعيدا بمواهبى ، فإنى أرانى مضطرا أن أقول عن نفسى إنى « سعيد ثلاث وأربع مرات » (١)

ثامنا ، لأن العدد ثمانية هو عدد العدالة بسبب التعادل الذى يوجد فيه فان العدالة والفطنة

---

(١) أى سبع مرات . العبارة مكتوبة باللاتينية . « المترجم » .

التى أقيس وأزن بهما جميع أفعالى تجعلان فى دكتورا ثمانى مرات .

تاسعا ، لأنه توجد تسع إلهات للفن ، وكلها تعزنى بالتساوى .

عاشرا ، لأنه لما كان لا يمكن للمرء أن يتجاوز العدد عشرة دون تكرار للأعداد الأخرى ولأنه العدد العام ، وأنه أيضا حينما وجدت ، وجدت دكتورا عاما : فإنى أحتوى فى نفسى جميع الدكاترة الآخرين . وهكذا ترى بأدلة وجيهة حقيقية ، أدلة مقنعة ، أنى دكتور مرة ومرتين وثلاث مرات وأربع مرات وخمس مرات وست مرات وسبع مرات وثمانى مرات وتسع مرات وعشر مرات .

باربوييه : ياللشيطان ! ما هذا ؟ اعتقدت أنى وجدت رجلا ضليعا فى العلم يقدم لى نصيحة طبية ، فإذا بى أجدنى أمام حاو يتسلى باللعب بالأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ،ها ، ها . كلا ليس ذلك ما أردت ، إنما أرجوك أن تنصت إلىّ ، وتأكد أنى لست لرجل الذى يجعلك تنفق جهدك عبثا ، وإذا أرضيتنى فيما أريده منك ، فإنى سأعطيك كل ما تريد ، فلوساً إذا كنت تريد الفاوس .

الدكتور : هيه ! فلوس ؟

باربوييه : فلوس وأى شىء آخر قد تطلبه .

الدكتـور : (يجمع لفائف معطفه خلف مؤخرتـه) ، أنت ، إذن ، تعتبرنى رجلا تستطيع النقـود أن تسخره لأى عمل ، رجلا لاصقا بالمنفعـة ، نفسا أجيرة؟ اعلم ، ياصديقى ، أنك لـو أعطيتنى كيسا مملوءاً بقطع النقد الذهبية ، وكان هذا الكيس داخل علبة مطهمة ، وهذه العلبـة داخل جراب قيم ، وهذا الجراب في صندوق رائع ، وهذا الصندوق في خزانة عجيبـة ، وهذه الخزانة في قاعة فخمة ، وهذه القاعـة في جناح مريح ، وهذا الجناح في قصر كلـه أبهة ، وهذا القصر في قلعة لا مثيل لها ، وهذه القلعة في مدينة شهيرة ، وهذه المدينة فيجزيرة خصبة ، وهذه الجزيرة في إقليم غنى ، وهذا الاقليم في مملكة مزدهرة ، وهذه المملكة فـى العالم كله ، وأنك اعطيتنى العالم حيث توجـد هذه المملكة المزدهرة ، حيث يوجـد هـذا الاقليم الغنى ، حيث توجد هـذه الجـزيرة الخصبة ، حيث توجد هذه المدينة الشهـيرة ، حيث توجد هذه القلعة التى لا مثيل لها ، حيث يوجد هذا القصر الذى كله أبهة ، حيث يوجد هذا الجناح المريح ، حيث توجد هذه الغرفة الفخمة ، حيث توجد هذه الخزانة العجيبـة ، حيث يوجد هذا الصندوق الرائع ، حيث يوجد هـذا الجراب القيم ، حيث يوجد الصندوق الرائع الذى يحتوى الكيس الملىء بقطع النقـد

الذهبية ، فلن أهتم بنقودك ولا بك أكثر من اهتمامى بهذه [1] .

(يذهب)

باربوييه : الحقيقة أنى أخطأت في فهمه : لأنه يلبس ملابس طبيب ، اعتقدت أنى يجب أن أكلمه عن الفلوس ، ولكن بما أنه لا يريد شيئا منها ، فلا شىء أسهل من إرضائه . سأجرى خلفه .

(يخرج)

المنظر الثالث

أنجيليك ، فالير ، كاتو

انجيليك : أؤكد لك ياسيدى أنك تطوق عنقى بالمعروف حين أراك تؤنس وحدتى في بعض الأحيان ، زوجى رجل قمىء الخلق ، سكير إلى حد يجعلنى أشعر بأن صحبته نوع من العذاب ، ومن ثم فأنا أترك لك أن تقدر أى متعة تجنيها الواحدة من صحبة جلف مثله .

فالير : ياسيدتى ، إنك توليننى شرفا لا أستحقه حين تتنازلين بتحملى ، وأعدك أن أشارك في الترفيه عنك بكل ما أستطيع ، وبما أنك تشهدين بأن صحبتى لا تضايقك فسوف أبرهن لك بمبادراتى

(١) مشيرا إلى تكوير مؤخرته .

على مقدار ابتهاجى بالخبر الذى سمعته منك الآن .

المنظر الرابع

بابوبيه ، فالير ، انجيليك ، كاتو

فالبر : سيدتى ، إنى في غاية الأسى إذ أحمل لك مثل هذه الأخبار السيئة ، ولكنك كنت ستعرفينها من أى شخص آخر غيرى ، وبما أن أخاك مريض جدا . . .

أنجيليك : سيدى ، لا تضف شيئا إلى ما قلت ، أنا خادمتك ، وأقدم لك أجمل عرفانى على المتاعب التى تجشمتها .

باربوييه : الحقيقة أننى دون أن أذهب إلى موثق العقود أرانى أمسك بيدى شهادة دياثتى . ها ! ها ! سيدتى الجيفة ، هأنذا أضبطك مع رجل بعد كل التحذيرات التى وجهتها إليك ، وأنت تريدين إرسالى من برج الجوزاء إلى برج الجدى [1]

أنجيليك : نعم ، هل لك أن تزمجر من أجل ذلك ؟ هذا السيد جاء يخبرنى بأن أخى مريض جدا ، فأين هنا ما يبعث على الشجار ؟

---

(١) من شخص فى أسمى المراتب إلى ديوث من أصحاب القرون .

كاتـــو : أوه ! ها هو ذا قد رجع . كان يدهشني لو ظللنا وقتا طويلا في راحة .

باربوييــه : والله إنكما تفسدان بعضكما بعضا . وأنــت ياكاتو ، أنت تفسدين زوجتي فمنذ أن قمت بخدمتها ، وهي لا تساوى نصف ما كــانت تساويه .

كاتـــو : نعم ، في الحقيقة ، لا تفتح حلقك علينا .

أنجيليــك : دعى هذا السكير حيث هو ، ألا ترين أنــه سكران لا يعى ما يقول ؟

المنظر الخامس

جورجيبوس ، فلبريكان ، أنجيليك ، كاتــو ، باربوييــه

جورجيبــوس : أليس هذا صهرى يتشاجر من جديد مع ابنتي ؟

فلبريكــان : يجب أن نعرف ماذا يجري .

جورجيبــوس : هيه ! ما هى الحكاية ؟ دائماً في شجار ؟ ألا يمكن أن يسود السلام أبداً في بيتكم ؟ .

باربوييــه : هذه الماجنة تدعونى بالسكير . (لأنجيليــك) انظرى ، أرانى تواقاً لطبع بصمة بالخمسة على وجهك في حضور أهلك .

جورجيبــوس : لوانك فعلت ذلك لسحبت منك بابنتها ، والقيت بها في الجحـــيم .

انجيليــك : ولكنه هو دائماً الذى يبدأ بـــ . . .

التابعــة : لقد كان يوماً مشئوماً ، ذلك الذى اخترت فيه هذا الابرص.

فلبريكـــال : هيا ، عليكم بالصمت ، بالهدوء .

المنظر السادس

الدكتور ، فلبريكان ، جورجيبوس ، كاتو
أنجيليك باربوييــه

الدكتــور : مــاذا جرى ؟ يا للفوضى ، يــا للشجــار ، يا للشغب ، يا للضوضاء ، يا للضجة يا للخلاف المستمر ، يا للحريق ، ماذا هناك ، أيها السادة ؟ مــاذا هناك ؟ ماذا هناك ؟ هكذا ، هكذا ، لننظر ما إذا كانت هناك وسيلة لإحلال الوفاق بينكم ، ولأكن لكم رسول سلام يحمل إليكم الائتــلاف.

جورجيبــوس : صهرى وابنتى هما اللذان يثيران الشغــب فيما بينهمــا .

الدكتــور : ما حقيقة الأمر ؟ لننظر ، قل لى سبب الخلاف.

جورجيبــوس : سيــدى . . .

الدكتــور : ولكن في كلمات قليلة .

جورجيبــوس : أى نعم . تفضل أليس قلنسوتك .

الدكتــور : أتدرى من أين جاءت كلمة قلنسوة ؟

جورجيبــوس : مطلقــاً .

الدكتـــور : إنها من « قلا – نسوة » لأنها تنسى أو تمنـــع قلى الشمس للرأس ومن ثم تحمى المـــرء مـــن الزكام ونزلات البرد .

جورجيبـــوس : في الحقيقة ، لم أكن أعرف ذلك .

الدكتـــور : حدثنى اذن بسرعة عن هذه المعركة .

جورجيبـــوس : هـــاك ما حدث . . .

الدكتـــور : لا أعتقـــد أنك تريد احتجازى وقتـــاً طويلا ، ما دمت أرجوك ألا تفعل . فعندى بعـــض المسائل الملحة التى تنتظرنى في المدينة ولكـــنى أقبل التوقف هنا لحظة من أجل إحلال السلام في ربوع أسرتك .

جورجيبـــوس : سأنتهى في لحظة واحـــدة .

الدكتـــور : اختـــصر !

جورجيبـــوس : هذه هى المسألة بكل اختصار .

الدكتـــور : يجب أن تعترف ، يا سيد جورجيبوس ، أن من أجمل المزايا أن تقول الأشياء في كلمـــات قليلة ، وأن الثرثارين كثيراً ما ينفرون الناس منهم ويصرفونهم عن سماعهم بدلامـــن أن يغروهـــم بالإنصات اليهم : « تنحـــصر أولى الفضائل في أن يمسك المرء لسانه . »[1] نعم أجمل ميزة يتمتع بها الرجل السوى هى أن يمسك لسانـــه .

---

(١) حكمة متداولة يذكرها باللاتينية . « المترجم » .

جورجيبـــوس : ستعرف إذن . . .

الدكتـــور : كان سقراط شديد الحرص على أن يوصي تلاميذه بثلاثة أشياء ! التحفظ في الأعمال ، والتقشف في الطعام ، وقول الأشياء في قليل من الكلمات . تفضل أبداً ، ياسيد جورجيبوس

جورجيبوس : هذا ما أريد فعله .

الدكتـــور : في قليل من الكلمات ، دون كلفة ودون التسلى بالاسترسال في الكلام ، ركز لى فيما يشبه الأمثال بسرعة ، بسرعة ، ياسيد جورجيبوس لتعجل ، تجنب الإطناب .

جورجيبوس : دعنى اذن أتكلم .

الدكتـــور : ياسيد جورجيبوس ، كفى ، أنت تسرف في الكلام ، يجب أن يقوم شخص آخر بذكر السبب في عراكهما .

فلبريكـــان : ياسيدى الدكتور ، ستعرف أن ....

الدكتـــور : أنت جاهل ، غير مثقف ، على غير علم بجميع أنواع العادات الطيبة وباللغة الفرنسية الصحيحة حمار . هيه ، نعم ، تبدأ الحكاية دون أن تقول كلمة استهلاك ، يجب على شخص غيره أن يحكى لى حكاية الفوضى .

أنت ، ياسيدتى ، قصى على قليلا تفاصيل هذا الشغب .

أنجيليك : أترى هناك زوجى ، هذا الماجن البدين ، برميل الخمر الكبير .

الدكتـــور : مهلا ، مهلا من فضلك . تكلمى عن زوجك بشىء من الاحترام ، مادمت أمام شوارب دكتور مثلى .

انجيليـــك : ها ! نعم ، بالطبع دكتور ، طظ فيك وفى دكترتك ، أنا أيضا دكتور حين أريـــد .

الدكتـــور : أنت دكتور حين تريدين ، ولكننى أعتقد أنك دكتور هزلى ويبدو من سحنتك أنك لا تتبعين إلا نزواتك : فأنت لا تحبين من أنواع الكلمة إلا الوصل ، ومن الجنس الا المذكر ، ومن المجرورات إلا المضاف اليه، ومن علامات الإعراب إلا الحركة والسكون ، وأخيرا لا تحبين من البحور إلا الطويل ، لانه يتكون من طويلة وقصيرة ، ثم طويلة وقصيرتين ، هكذا بالتفخيم . تعال هنا أنت قل لى قليلا ماهو السبب ، ما هو موضوع شجاركم .

باربوييـــه : سيدى الدكتـــور ....

الدكتـــور : بدايـــة سيئة : « سيدى الدكتور » كلمـــة « دكتور » هذه فيها شىء من العذوبة بالنسبة للإذن ، شىء كله فخامة : « سيدى الدكتور » هكذا بالتفخيم .

باربوييـــه : أمام إرادتى ....

الدكتـــور : ما أحسن هذا : » أمام إرادتى » الإرادة تستلزم الأمنية ، والأمنية تستلزم وسائل للوصول إلى غاية ، والغاية تستلزم هدفا . فما أحسن هذا ، « أمام إرادتـــى » .

باربوييـــه : أنا مغتاظ .

الدكتـــور : احذف كلمة « مغتاظ » هذه ، إنها مصطلح منحط وشعبي .

باربوييـــه : وبعد ، أنصت إلى ، ياسيدى الدكتور ، من فضلك .

الدكتـــور : لو كان شيشيرون الذى يتكلم لقال : «أنصت ، أرجوك . »

باربوييـــه : أوه ! والله لو كف ذلك أو انقطع أو انكسر لما أصابنى بأى جزع ، هل ستنصت إلى ، وإلا حطمت لك خشمك الدكتورى ؟ وما هذا الخلط ، من فضلك ؟ (يتكلم الجميع في آن واحد : باربوييه ، وأنجيليك وجورجيبوس وكانو ، وفلبريكان ، يريدون ذكر سبب المعركة ، والدكتور يقول : إن السلام شيء جميل ، وفي وسط هذه الضجة كلها يقوم باربوييه يربط الدكتور من قدمه ويوقعه ، الدكتور يقع على ظاهره ، باربوييه يجره بالحبل الذى ربطه به في قدمه ، وبينما هو يجره يستمر الدكتور في تعداد أدلته على أصابعه ،

لو لم يكن على الأرض . يختفى باربوييه والدكتور .)

جورجيبيـــوس : هيا ، يا بنتى ، ارجعى إلى بيتك ، وعيـــشى بسلام مع زوجك .

فلبريكـــان : وداعاً ، أنا خادمك ، وطاب مساؤك .

المنظر السابع

فالير ، لافاليـــه

فالـــير : سيدى ، اشكرك على اهتمامك ، واعدك أن أكون بعد ساعة في الموعد الذى حددته لى .

لافاليـــه : هذا أمر لا يمكن تأجيله ، واذا تأخـــرت ربع ساعة ، فإن الحفلة الراقصة ستنتهى بعد قليل ؛ ولن تحظى برؤية من تحبها ، إذا لم تذهـــب إلى هناك من فورك .

فالـــير : هيا ، إذن من فورنا معاً .

(يخرجـــان)

المنظر الثامن

أنجيليـــك

ما دام زوجى غير موجود ، فسأذهب لحظة إلى إحدى حفـــلات الرقص لدى واحدة من جاراتى . وسأرجع قبله ، لأنه الآن في إحدى الكباريهات ، فلن يلاحظ أنى خرجت ، هذا الفظ يتركنى وحـــدى في البيت كما لو كنت كلبتـــه .

(تذهـــب)

المنظر التاسع

باربوييه

كنت أعرف أنى سأنتصر على هذا الدكتور المخبول وعلمه المأفون. إلى الجحيم هذا الجاهل، لقد ألقيت بالعلم كله على الأرض. ولكن لا بد أن أذهب لأرى ما إذا كانت المرأة قد أعدت لى العشاء.

(يخرج)

المنظر العاشر

أنجيليك

ما أتعسنى! تأخرت، انتهى الاجتماع: وصلت بالضبط لحظة كان الكل يخرجون. ما علينا سيكون ذلك في مرة أخرى. أما الآن فسأذهب إلى البيت، وكأن لم يحدث شىء. الباب مغلق.
كاتوا! كاتوا!

المنظر الحادى عشر

باربوييه (في الشباك)، أنجيليك

باربوييه : كاتو! كاتو! نعم، ماذا فعلت كاتو؟ من أين تجيئين، يا سيدتى الجيفة، في مثل هذه الساعة، وفي مثل هذا الجو؟

انجيليك : من أين أجيء؟ افتح لى، أولا، وسأقول لك بعد ذلك.

باربوييه : نعم؟ آه! والله تستطيعين أن تذهبي للنوم حيث كنت، وإلا ففى الشارع إذا فضلت ذلك. أما أنا، فلا أفتح لامرأة سيئة السلوك

مثلك . يا للشيطان ! وكيف يتأتى ذلك ، امرأة وحدها في هذه الساعة التى نحن فيها ، لا أدرى إذا كان ذلك من باب الخيال ، ولكنى أشعر أن جبهتى أصبحت أثقل مما كانت مرة ونصف.

انجيليك : نعم ! ماذا تريد أن تقول عن وجودى وحدى ؟ لك أن تثور في وجهى إذا كنت مصحوبة فماذا على إذن أن أفعل ؟ .

باربوييه : يجب الاستقرار في البيت ، وإصدار الأوامر لاعداد العشاء ، والعناية بشئون المنزل والاطفال ، ولكن دون خطب فارغة . وداعاً ، مساء سعيدا ، اذهبي إلى الجحيم ، ودعيني في هدوئى .

انجيليك : لا تريد أن تفتح لى ؟

باربوييه : كلا ، لن أفتح .

انجيليك : هيه ! يا زوجى العزيز المسكين ، أتوسل اليك . افتح يا قلبي للصغير الحبيب .

باربوييه : أه ! أيتها التمساح ، أه ! أيتها الحية الرقطاء ! تلاطفيننى من أجل أن تخوننى .

انجيليك : افتح ، افتح ، أرجوك .

باربوييه : وداعاً ، إلى الوراء ، أيها الشيطان الرجيم [1]

انجيليك : ماذا ، لن تفتح لى ؟

---

(١) يذكر العبارة باللاتينية . «المترجم» .

باربوييـــه : كـــلا .

أنجيليـــك : ألا تأخذك الشفقة بزوجتك التى تحبك كثيراً ؟

باربوييـــه : كلا ، لن ألين لقد أهنتنى ، وأنا من طباعــى حب الانتقام ككل الشياطين . يعنى أنى رجل قوى جداً ، قلبي كالصخر .

انجيليـــك : أتعرف انك إذا أنفذت صبرى وأثرت غضبى ، فانى سأرتكب شيئاً تندم عليه ؟

باربوييـــه : وماذا ستفعلين ، أيتها الكلبة الساذجة ؟

انجيليـــك : اسمع ، إذا لم تفتح لى ، قتلت نفسى أمـــام الباب ، ومن الراجح أن يأتى والداى هنا قبل أن ينامـــا ليعرفا ما إذا كنـــا على وفاق معاً ، وسيجدانى ميتة ، وسيكون مصيرك الشنق .

باربوييـــه : أه ، أه ، أه ، هذه البهيمة البلهاء ، ومـــن منا نحن الاثنين ستكون خسارته أكبر ؟ هيا ، هيا ، لست غبية إلى حد ارتكاب هذه الحماقة . !

أنجيليـــك : ألا تصدق ذلك ؟ انظر ، انظر ، ها هـــوذا سكينى جاهزاً ، وإذا لم تفتح لى ، فسأغرســـه في قلبى فوراً .

باربوييـــه : حاذرى ، إنه مدبب جداً .

أنجيليـــك : إذن ، لا تريد أن تفتح لى ؟

باربوييـــه : قلت لك عشرين مرة : لن أفتح . فاقتلى نفسك. اذهبي في داهية ، كل هذا لا يهمنى .

أنجيليك : (تتظاهر بطعن نفسها) وداعاً ، .. أى ! لقد مت .

باربوييه : هل بلغ بها الغباء إلى حد أن ترتكب هذه الحماقة ؟ يجب أن أنزل بشمعة ، لأرى .

أنجيليك : لا بد أن أوقعه في المصيدة . إذا استطعت أن أدخل البيت فجأة ، بينما أنت تبحث عنى ، يكون كل منا قد نال نوبته .

باربوييه : هيه ، هيه ، ألم أعرف جيداً أنها ليست بهذه الدرجة من الغباء ؟ ميتة ، ومع ذلك تجرى كحصان السباق . لا شك أنها ألقت في قلبى الرعب . وقد أحسنت صنعاً حين فرت ، لأنى لو وجدتها حية بعد ما أثارت فيَّ من رعب ، لنفحتها خمس أو ست ركلات في مكان ما من مؤخرتها ، لأعلمها كيف تتظاهر مرة أخرى بالبله . والآن يجب أن أذهب للنوم . أوه ، أوه ، أظن أن الريح قد أغلقت الباب . هيه ، كاتو ، افتحى لى .

أنجيليك : كاتو ، كاتو ، نعم ماذا فعلت كاتو ؟ ومن أين تجيء يا سيدى السكير ؟ آه ، ولكن لا بأس ، فان أهلى الذين سيأتون بعد لحظة ، سيعرفون حقيقتك . أنت برميل الخمر الحقير الذى لا يغادر الحانة ، ويترك زوجته المسكينة وأولاده الصغار دون أن يهتم بما إذا كانوا في

حاجة إلى أى شيء ، لكى ينتظروا وينتظروا ويقضوا طول يومهم في الانتظار .

المنظر الثاني عشر

جورجيبوس ، فلبريكان ، أنجيليك ، باربوييه

جورجيبوس : ما هذا ؟ دائما في شجار ، دائما في عراك، دائما في شقاق .

فلبريكان : ما هى المسألة ؟ أبينكم وبين الوفاق ثأر ؟

أنجيليك : لكن انظروا إليه ، انظروا إليه ثملا ، يرجع إلى بيته في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ليحدث ضجة مزعجة . إنه يهددنى .

جورجيبوس : لكن أيضا ، ليست هذه ساعة يرجع فيها الإنسان إلى بيته . ألا يمكنك الرجوع إلى بيتك في وقت مبكر كأى رب أسرة معقول ، وأن تعيش مع زوجتك في وفاق ؟

باربوييه : ليخسفنى الشيطان ، إذا كنت قد خرجت من البيت . اسألوا هؤلاء السادة الذين في الصالة [1] إنها هى التى لم تعد إلا في هذه اللحظة ، أيتها البراءة ما أشد ما يحيق بك من ظلم !

فلبريكان : هيا ، هيا ، تصالحا ، اطلب منها العفو .

باربوييه : أنا ؟ العفو ؟ بل أفضل أن يخطفها الشيطان . لقد بلغ بى الغيظ درجة جعلتنى لا أشعر بنفسى .

---

(١) يقصد المتفرجين الذين يخاطبهم من فوق المسرح ، هذا السلوك الذى يظن البعض أنه لم يظهر إلا حديثا . « المترجم » .

جورجيبوس : هيا ، يابنتى ، قبلى زوجك ، وكونا صديقين وفيين .

المنظر الثالث عشر والاخير

الدكتور ، (في الشباك وعلى رأسه قلنسوة النوم والقميص) باربوييه ، فلبريكان ، جورجيبوس ، أنجيليك

الدكتور : هيه ، ما هذا ، دائما ضوضاء ، فوضى ، شقاق ، نقاش ، خصام ، حرائق مشاحنات لا تنتهي . ما هذا ؟ ما جلية الأمر ؟ ألا يستطيع المرء أن ينعم بشيء من الراحة ؟

فلبريكان : لا شيء ياسيدى الدكتور ، الجميع على وفاق .

الدكتور : أتريدون أن أقرأ لكم فصلا من أرسطو يبرهن فيه على أن أجزاء الكون لا تستمر في البقاء إلا بفضل التوافق الذى بينها ؟

فلبريكان : أهو طويل ؟

الدكتور : كلا ليس طويلا حوالى ستين أو ثمانين صفحة.

فلبريكان : وداعا ! طاب مساؤك ، نشكرك .

جورجيبوس : لا حاجة اليه .

الدكتور : لا تريدونه ؟

جورجيبوس : كلا .

الدكتور : وداعا . إذن ، ما دام الأمر كذلك ، طاب مساؤكم ، هذا بالعربية بونانكس ، هذا باللاتينية ....

فلبريكان : هيا بنا ، نحن أيضا ، نتناول طعام العشاء معا .

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ـ مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	ـ جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	ـ هال بورلر	البرج
٤	ـ لساو يو	عاصفة الرعد
٥/١	ـ هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ـ جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	ـ تيرانس راليجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	ـ تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	ـ جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ـ فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	ـ يونسكو ـ إداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢/١	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	ـ نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعـود
١٤	ـ بيتر قايس	انشودة انجـولا
١٥	ـ اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦/١	ـ موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	ـ دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	ـ وليم شكسبير	العين بالعين
١٩/٣	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	ـ رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	ـ انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	ـ تيرانس راليجان	روس او لورانس العرب
٢٣	ـ كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦ / ١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧ / ١	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	الريكى خارديل يونشيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩ / ١	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١ / ١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان .	انتصار حورس
٣٣ / ١	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة
٣٥ / ٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ اوديب في كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦ / ١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك او الامتثال ٤ ـ المستقبل في البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	كوبر ـ تشيرشل شارب ـ بيرمانج	مسرحيات الناعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد في روما ٢ ـ المحراب المضيء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
٤٢/٢	لويجي براندللو	(من الاعمال المختارة) لويجي براندللو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة ـ سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الغرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦ م	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ــ ٢ ١ ــ سدوم وعمورة ٢ ــ مجنونة شايو
٤٧ م	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٢ ١ ــ ضحايا الواجب ٢ ــ مرتجلة الما ٣ ــ سفاح بلا كراء
٤٨ م	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ــ ٣ ١ ــ طريق القمة ٢ ــ العالم المكسور
٤٩	البى ــ شيزچال	١ ــ الحلم الأمريكى ٢ ــ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الأرض كروية
٥١ م	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ــ ٢ ١ ــ السلاح والانسان ٢ ــ كانديدا ٣ ــ رجل المقادير
٥٢ م	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتينس دى لاروزا	ابن امية أو ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	مأساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوريبيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ــ ٢ ١ ــ سجاناريل ٢ ــ المتحذلقات المضحكات ٣ ــ مدرسة الأزواج ٤ ــ الطبيب الطائر ٥ ــ غيرة الباربوييه

الكويت	١٥٠ فلساً	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايسا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلساً
العراق	١٥٠ فلساً	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلساً
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

في العدد القادم

الطريق الى روما **تأليف روبرت شيروود**

صدرت هذه المسرحية ١٩٢٧ ، وكانت أول كوميديا للكاتب المسرحي الأمريكي روبرت شيروود ، وأول عمل ناجح له . وهو يتخذ لأحداثها مكانا وزمانا بعيدين كل البعد عن وطنه وعن عصره . فالمكان هو روما وضواحيها ، والزمان هو سنة ٢١٦ق . م ، أثناء الحروب البيونية التي دارت بين روما وقرطاجنة لفترة تزيد عن قرن ، والتي أوقفت القائد القرطاجني البارع « هانيبال » على أبواب روما ،، ثم انتهت بعد مراحل من القتال والهدنة باجتياح مدينة قرطاجنة ذاتها وقتل حوالي مائتي الف نفس من سكانها في ستة أيام ، والذين بقوا ــ هم خمسون الفا ــ بيعوا في أسواق العبيد ، ثم سويت المدينة بالارض وحرثت أطلالها ولم تبق منها سوى الأسطورة .

ولكن شيروود لا يكتب هذه المسرحية تمجيداً لعبقرية هانيبال ، او لحكمة قادة الرومان فى مواجهته، وعلى رأسهم الجنرال فابيوس ــ الذى يتمثل فى المسرحية والذى يسمى المذهب « الفابى » باسمه ــ بل يكتبها ليسخر من هذين ومن غيرهما من ابطال الغزو والدمار ، ويلمح الى انه لا بد أن تكون لدى كل منهم علة نفسية او عاطفية تجعله يتخذ من القتل والتدمير ، « تعويضا » عما يعانيه من « كبت » وهي فكرة معروفة لدارسي علم النفس الفرويدى .

وقد ولد روبرت شيروود سنة ١٨٩٦ ببلدة « نيوروشيل » بولاية نيويورك الأمريكية ، والتحق بجامعة هارفارد ثم تخلف عن دراسته ليشترك مع فرقة كندية فى الحرب العالمية الاولى حيث جرح ثم أعفى من الخدمة ، ثم عاد الى بلاده وبدأت فكرة مناهضة الحرب تراوده الى ان اصبحت عقيدته المعلنة فى الثلاثينات .

وقد اشتغل شيروود صحفيا وناقدا سينمائيا لمجلة « لايف » كما كان أيضا صديقا للرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت وكاتبا لخطبة السياسة ، وقد ألف مسرحيات عديدة ، اكثرها نجاحا ماظهر منها قبل الحرب العالمية الثانية . ومنها هذه المسرحية ، والميلودراما المعروفة « الغابة المتحجرة » ، والدراما العاطفية المعروفة لجمهور السينما « جسر ووترلو » . وقد حاز شيروود جائزة بوليتزر اربع مرات ، ثلاث منها لأعماله الدرامية ، والرابعة عن كتابه « روزفلت وهوبكنز » . وقد توفى ١٩٥٥ .

فى هذا العدد

من الأعمال المختارة **موليير ـ ٢**

تذكر سجلات كنيسة « سانت أوستاش » فى باريس أن اليوم الخامس عشر من شهر يناير سنة ١٦٢٢ هو اليوم الذى عمد فيه الطفل جان بانست بوكلان الذى عرف فيما بعد باسم « موليير » وكانت أمه « مارى كرسيه » ابنة احد تجار السجاجيد الاثرياء بباريس ، اما أبوه « جان بوكلان » فكان هو الآخر تاجر سجاجيد ثريا وخادما خاصا للملك يناط به تأثيث القصور وفرش الحجرات الملكية . وهذه هى الوظيفة التى ورثها موليير عن والده وظل يمارسها طوال حياته الى جانب عمله فى المسرح مؤلفا ومخرجا وممثلا ومديرا .

أتم موليير تعليمه العام فى كلية كليرمون ودرس الحقوق فى كلية أورليان ثم قيد نفسه فى سجل المحامين ، ولكنه لم يستمر فى هذه المهنة أكثر من ستة أشهر ، لأن المسرح كان قد ملك عليه كل حياته رغم المحاولات العديدة التى بذلها والده لابعاده عنه . فأنشأ « المسرح اللامع » فى باريس بالاشتراك مع « مادلين » ولما اخفق انتقل الى الاقاليم حيث مكث هناك سنوات يتنقل بين مدنها ، حتى كانت سنة ١٦٥٨ فعاد بفرقته الى باريس حيث بسط عليه « السيد » أخو الملك رعايته الى أن صدر قرار الملك بأن تكون فرقة موليير فرقته الخاصة .



وقد أراد موليير فى بادىء نشاطه فى باريس أن ي... التراجيديا ، ولكن مواهبه الكوميدية رجعت به الى حي... يكون ، فأصبح الكوميدى الاول فى فرنسا . والواق... الكوميدية فى الادب والمسرح الفرنسيين ، حيث طور ... « والكوميدية دلارته » الى فن الكوميدية الراقية ، ... ما اتجه الى تصوير الاخلاق والعادات ونقدهما . وم... اللاذع للحذلقة فى مسرحية **المتحذلقات** التى يجدها ا... مسرحيات هذا المجلد .